

شعراء الأعراب

خليل مردم بك
رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق
١٨٩٥ - ١٩٥٩

شرحه وقدم له
عدنان مردم بك

مؤسسة الرسالة
بيروت




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شعراء الاعراب

الطبعـة الاولى
١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م

مؤسسـة الرسالة : شارع سورية ـ بناية صمدي وصالحـة
هاتف : ٢٤١٦٩٢ ـ ٢٩٥٥٠١ ـ ص. ب. ١١٧٤٦٠ ـ برقيـا : بيوشران



تأليف

خليل مردم بك
رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق
١٨٩٥ - ١٩٥٩

شرحه وقدم له
عدنان مردم بك

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

سبق لي حين كتبت مقدمة كتاب الأعرابيات ، أنْ أشرت في مقدمتي إلى الدافع الذي حث المؤلف المرحوم العلاّمة خليل مردم بك على تأليف كتابه ، وأبنت أنه شاء أن يخص الأعراب بدراسة وافية ، اعترافاً بفضلهم لما أسدوه من أياد بيض ؛ فهم ولا شك شيوخ اللغة العربية والأساتذة الرائدون لكل من تفقه في اللغة ؛ فلا عجب اذا ما خصّهم شاعر الشام الكبير بكتاب مستقل درس فيه طائفة كبيرة منهم أو أتى على ترجمة أربعين رجلاً ، كأبي زياد الكلابي ، وأبي محلم الشيباني ، وجهاد الأشجعي ، وشبيب بن البرصاء ، والنابغة الشيباني وو . . .

وجلهم ممن له قيمته وشأنه .

هذا ولم يغفل مؤلف الأعرابيات عن ذكر المناظرات الأدبية ، التي كانت تجري بين علماء اللغة ، وكيف كان يتقاضى أئمة اللغة العربية إليهم كالمسألة الزنبورية التي اختلف بها سيبويه زعيم مدرسة البصرة ، والكسائي زعيم مدرسة الكوفة ، بحضرة الخليفة العباسي ، هرون الرشيد ، ولما لجّ الخصام بين الشيخين ، وهما عمدة بلديهما ، ارتضيا بالأعراب حكماً يفصل بينهما ؛ وكان بباب الخليفة من الأعراب أبو دثار وأبو الجراحوأبو فقعس وأبو ثروان الذين حكموا للكسائي .

أتبع الأستاذ خليل مردم بك كتاب الأعرابيات الذي خصه بذكر فصحاء الأعراب ، بمؤلف آخر خصه بالشعراء منهم ، درس به عشرة شعراء وشاعرة أعرابية .

وإن أكثر أولئك الشعراء ، الذين خصهم بالدراسة ، مغمورون ، مجهولون من أكثر الأدباء كبيهس الجرمي ، ومزاحم العقيلي،وحريث بن عتاب ، وناهض بن ثومة ، والأبيرد الرياحي وو . . .

فهي أسماء مجهولة من أكثر الأدباء ، ولا يعرفها إلاّ القليلون الذين انقطعوا على مطالعة أمهات الكتب والنظر في المعاجم .

ولا يوجد بين أولئك الشعراء المترجم لهم ، من هو معروف بين الناس اليوم سوى الشاعرين الكبيرين : جرير والعتابي ؛ فجرير أحد اثنين من فحول الشعراء في العصر الأموي ، هو والفرزدق . فهما فرسا رهانٍ في كل حلبة ولكلٍ منهما أنصاره ومؤيدوه .

والشاعر الأعرابي الثاني ، العتابي ، رأس طبقة شعراء الصنعة في العصر العباسي والذي مهد الطريق لمن أتى بعده من شعراء الصنعة كصريع الغواني وحبيب بن أوس .

إن البراعة الحقة في كتاب شعراء الأعراب ، يتجلى بالجهد الطويل الذي أنفقه المؤلف في تقصي أخبار أولئك الشعراء المغمورين المجهولين ، وفي جمع النتف المتناثرة من أخبارهم وأشعارهم من كتب متفرقة وفي ضمّ أشطر الأبيات المبعثرة حتى تأتّى له أن يقدم سيرة وافية وقصائد تامة ويقدم لنا هذا المؤلفَ البارع .

إن العمل الذي قام به الخليل ، شاق ومتعب ، ويستدعي صبراً عظيماً .

لا يستطيعه إلاّ شاب في ريعان شبابه ، ولقد كان له من طول الصبر ومن قوة الشباب ما ساعده على القيام بهذا الجهد الطويل رغم الصعوبات التي اعترضته في عمله كندرة المظان في ذلك الوقت ، وتبعثر الأخبار في كتب التراجم وفقدان الترتيب والتسلسل عند المؤلفين القدامى . يضاف إلى ذلك انه لم يسبق أنْ خصّ أحد من الأدباء الأعرابَ بدراسةٍ ، أو من جمع سيرهم ونوادرهم بكتاب ؛ وإنما كنت تطالع النتف المبثوثة عرضاً في الكتب المتفرقة وكثيراً ما تأتي بعض النتف على سبيل الاستشهاد في مسألة لغوية جاءت عرضاً .

استطاع شاعر الشام الكبير خليل مردم بك أن يقدم لنا في كتابه شعراء الأعراب صورة شيقة لتلك الفئة من الناس في حياتها الخشنة الجافة والمحيط الضيق الذي يعيشه الشاعر كما جرى لناهض بن ثومة حين جاء المدينة وحضر حفلاً ، فذكر ما حدث له : جاء شاب بخشبة ، عيناها في صدرها فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عوداً ، فوضعه خلف أذنه ثم عرك آذانها ، وحركها في يده ، فنطقت ورب الكعبة ، وإذا هي أحسن قينة رأيتها قط ، وغنى عليها ، فأطربني حتى استخفني من مجلسي ، فوثبت فجلست بين يديه ، وقلت بأبي أنت وأمي ، ما هذه الدابّة ؟ فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلاّ قريباً ؟ قال : هذا البربط .

وأتى المؤلف على وصف عزة النفس فيهم في القصة التي أوردها في ترجمة الشاعر مالك بن الريب حين سأله الأمير سعيد بن عفان أن يقوم بأمر إبله ليجزل له الرزق ويضع عنه الغزو ؛ فقال مالك :

وإني لأستحيي الفوارس أنْ أرى ... بأرضِ العدا بو المخاضِ الروائمِ
وإني لأستحيي إذا الحرب شمّرَتْ ... إذا ارفضّ دون الحرب ثوب المسالم
وما أنا بالنائي الحفيظةِ في الوغى ... ولا الملتقى في السلم جر الغنائمِ

وأتى المؤلف على ذكر الحنين الجامح لحب الأرض عند الأعراب حين أورد ما وقع لميسون ، حين بنى معاوية بن أبي سفيان بها ، وحلّتْ في قصر الخلافة ، ولكن أبهة الملك ما كانت لتصرف نفسها عن الحنين إلى البادية ، فقالت متلهفة :

لَبيتٌ تخفقُ الأرواح فيهِ   أحبُّ إليَّ من قصر منيف
ولبس عبــاءة وتقرّ عيني   أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف

فالمؤلف صوّر لنا في دراسته الممتعة لأولئك الشعراء الأعراب الحياة الاجتماعية الضيقة التي يحياها الفرد منهم ، وأتى على وصف الحياة العاطفية الخصبة التي يحملها الأعرابي في حناياه ، فهو غني بمشاعره الجياشة رغم فقره ، وهو نبيل مقدام رغم صعلكته .

ولم يتهيأ للخليل هذا المؤلف إلاّ بما بذله من جهد في مراجعة أمهات الكتب والانكباب الطويل على جمع الشوارد المتناثرة في بطون المصادر والمعاجم .

إن غاية المؤلف من تقديم هذا الكتاب ، إتمام الحلقة الأولى التي ابتدأها وخصّها بالفصحاء من الأعراب الذين كانوا الأساتذة لأئمة اللغة أمثال الأصمعي والخليل الفراهيدي والكسائي ومعمر بن المثنى وغيرهم .

فأراد المؤلف أن يربط ما بين الحلقتين وأن يبين في كتابه هذا « شعراء الأعراب » ان العواطف الإنسانية هي واحدة ، سواء عند الحضري أم البدوي ، ولربما امتاز البدوي بصدق العاطفة ؛ وتم له ما أراد في دراسته لعشرة شعراء من الأعراب وشاعرة أعرابية .

وألحق مؤلفه بمختارات شعرية للأعراب في سبعة أبواب : باب الأدب، والحماسة والفخر ، باب النسيب ، الرثاء ، المديح ، الوصف ، وباب الهجاء .

والمختارات من حر الشعر وجيده ، فهي بارعة في رصفها وجزالتها ، بليغة في صدق إحساسها .

وأتى المؤلف بشذرات من مأثور أقوال الأعراب إتماماً للفائدة ، فيها البلاغة والروعة .

عدنان مردم بك

بيهس الجرمي

هو بيهس بن صهيب بن عامر الجرمي القضاعي ، ويُكنى أبا المقدام ، شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان يبدو [١] بنواحي الشام مع قبائل جرم وكلب وعذرة [٢] ، ويحضر [٣] إذا حضروا فيكون بأجناد الشام .

وكان مع المهلب بن أبي صفرة [٤] في حروبه الأزارقة [٥] ، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن .

وكان يهوى امرأة من قومه ، يقال لها صفراء ، وكان يتحدث إليها ، ويجلس في بيتها ، ويكتم وجده بها ، ولا يظهره لأحد، ولا يخطبها لأبيها ،

---

(١) يبدو : أي من ينزل البادية ؛ وفي الحديث : من بدا جفا أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب .

(٢) جرم : بطن من بجيلة من أنمار بن أراش ، من القحطانية .
كلب : بطن من خثعم من أنمار بن أراش من القحطانية . كانت مساكنه بالحجاز .
عذرة : فخذ من عبد الله بن غطفان بن سعد من العدنانية .

(٣) يحضر : أي من ينزل الحضر ضد البادية .

(٤) المهلب بن أبي صفرة : أمير بطاش انتدب لقتال الأزارقة حاربهم تسعة عشر عاماً وتم له الظفر .

(٥) الأزارقة : جماعة نافع بن الأزرق وهم فئة من الخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي بن أبي طالب وتبرؤوا منه ومن سيدنا عثمان وكانوا يكفرون أصحاب الكبائر .

لأنه كان صعلوكاً لا مال له ، فكان ينتظر أن يثري ، وكان من أحسن الشباب وجهاً ، وشارة [1] ، وحديثاً ، وشعراً ؛ فكان نساء الحي يتعرضن له ، ويجلسن إليه ، ويتحدثن معه ، فمرت به صفراء ، فرأته جالساً مع فتاة منهن ، فهجرته زماناً ، لا تجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ؛ وعرض له سفر ، فخرج إليه ، ثم عاد وقد زوجها أبوها رجلاً من بني أسد [2] ، فأخرجها وانتقل عن دارهم بها ، فقال بيهس :

سقى دمنةً [3] (صفراءُ) [4] كانت تحلها ... بنوءِ الثريا طَلُّها وذهابُها

وصاب [5] عليها كلُّ أسحم [6] هاطلٍ ... ولا زال مخضَرّاً مريعاً جنابها [7]

أحبّ ثرى أرض إليّ وإنْ نأتْ ... مَحَلَّتُكِ منها نبتها وترابُها

على أنها غضبى عليّ وحبذا ... رضاها إذا ما أُرضيت وعتابها

وقد هاج لي حيناً فراقُكِ غُدوةً ... وسعيك في فيفاء [8] تعوي ذئابها

نظرت وقد زال الحمول ووازنوا ... بركوة والوادي وخَفّتْ [9] ركابها

فقلت لأصحابي أبالقربِ منهمُ ... جرى الطير أم نادى ببينٍ غرابها

ثم ماتت صفراء قبل أنْ يدخل بها زوجها ، فقال بيهس يرثيها :

---

(١) شارة : الهيأة ، الزينة ، الحسن والجمال .

(٢) بنو أسد : بطن من عنزة ، لهم طلعان وهو واد كثير المزارع .

(٣) دمنة : آثار الدار .

(٤) صفراء : اسم محبوبة الشاعر .

(٥) صاب : انصب ونزل .

(٦) أسحم : أسود وهنا كناية عن السحاب الكثيف المتلبد .

(٧) جناب : الفناء ، الحياض .

(٨) فيفاء : المفازة التي لا ماء فيها .

(٩) خف : طاش ؛ ارتحل مسرعاً .

هل بالديار التي بالقاعِ من أحدِ باقٍ فيسمع صوتَ المدلج [1] الساري
تلك المنازل من صفراءَ ليس بها نار تضيءُ ولا أصواتُ سُمّارِ [2]
عفتْ [3] معارفها هوجاً مغبّـــرةً تسفي [4] عليها تراب الأبطح [5] الهاري [6]
حتى تنكرتُ منها كلَّ معرفةٍ إلاّ الرمادَ نخيلاً [7] بين أحجارِ
طال الوقوف بها والعين تسبقني فوقَ الرداء بوادي دمعها الجاري
إنْ أصبح اليومَ لا أهلٌ ذوو لطفٍ ألهو لـــديهم ولا صفراءُ في الدارِ
أرعى بعيني نجومَ الليلِ مرتقبـــاً يا طولَ ذلكَ من همٍّ وإسهارِ [8]
فقد يكون ليَ الأهلُ الكرام وقد ألهو بصفراء ذاتِ المنظرِ الواري [9]
من المواجد [10] أعراقاً [11] إذا نُسبتْ لا تحرم المالَ عن ضيف وعن جارِ
لم تلق بؤساً ولم يضرر بهـــا عَوَرَ ولم ترجـفْ [12] مع الصالي [13] إلى النارِ
كذلك الدهر إنّ الدهر ذو غِيَرٍ [14] على الأنام وذو نقضٍ وإمرارِ [15]

---

(١) المدلج : الذي يسير في أول الليل ويطلق أيضاً على من يسير في آخر الليل .
(٢) السمار : جمع سامر وهو الذي يتحدث في الليل ، وسامر اسم فاعل من معنى الحديث .
(٣) عفا : درس ومحا .
(٤) تسفي : تذري ، تبدد .
(٥) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .
(٦) الهاري : المتصدع ؛ تقول رجل هار أي ضعيف من شدة الزمان .
(٧) نخيلا : ما نخل أي صفي وغربل .
(٨) إسهار : امتناع النوم في الليل .
(٩) الواري : المتقد ، المشع .
(١٠) المواجد : ذوات السعة والقدرة .
(١١) الأعراق : جمع عرق والعرق من الشجر أصله وهنا كناية عن كرم الأرومة .
(١٢) ترجف : تخوض في الأخبار السيئة .
(١٣) الصالي اسم فاعل ج صلي ؛ يقال صلى الشيء ألقاه في النار .
(١٤) الغير : الحوادث ، مصائب الزمن .
(١٥) امرار : جمع مرة ، والمرة قوة الخلق وشدته ؛ والحالة التي يستمر عليها الشيء .

قد كاد يعتادني من ذكرها جزع　　لولا الحياءُ ولولا رهبةُ العارِ
سقى الإلهُ قبوراً في بني أسد　　حول الربيعةِ غوثاً صوب[1] مدرارِ[2]
مَنِ الذي بعدكمْ أرضى به بدلاً　　أوْ مَنْ أحدِّث حاجاتي وأسراري

واجتاز بيهس في بلاد بني أسد ، فمرّ بقبر صفراء ، وهو في موضع يقال له الأحص [3] ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا [4] بلاد بني أسد ، فأوسعوا لهم (وكان بينهم صهر) فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه ألا ترحل ، فقال : أما والله حتى أظلّ نهاري كله عنده ، وأقضي وطراً ، فلا تنزلوا ، فأنشأ يقول :

ألمّا على قبر لصفراءَ فاقرآ الـ　　سلامَ وقولا حَيِّنا [5] أيها القبرُ
وما كان شيئاً غير أنْ لست صابراً　　دعاءك قبراً دونه حجج [6] عشر
برابيةٍ فيها كرامٌ أحبّة　　على أنها إلاّ مضاجعهم قفرُ
عشيةَ قال الركب من غرض [7] بنا　　تروح أبا المقدام قد جنح [8] العصر [9]

---

(١) صوب : السحاب ذو الصوت .
(٢) مدرار : غزير الدر يقال ديمة مدرار أي غزيرة السيلان في القرآن الكريم : يرسل السماء عليكم مدراراً .
(٣) الأحص : موضع بنجد فيه منازل ربيعة ثم منازل وائل وتغلب ؛ والأحص أيضاً كورة مشهورة بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب .
(٤) انتجع : طلب ؛ يقال انتجع الكلأ طلبه في موضعه ، وانتجع فلاناً طلب معروفه .
(٥) حينا : فعل أمر من حيا .
(٦) حجج : جمع حجة والحجة السنة وحجج سنون عديدة .
(٧) غرض : الغرض الضجر ؛ وفي المثل : من فاته الغرض (أي الهدف) ، فتته الغرض (أي الضجر) .
(٨) جنح : أقبل .
(٩) العصر : الليل .

فقلت لهم يومٌ قليــلٌ وليلــة ... لصفراء قدطال التجنب[1] والهجر[2]

وبتّ وبات الناس حوليَ هجّراً ... كأنّ عليَّ الليلَ من طوله شهر

إذا قلت هذا حــين أهجع ساعة ... تطاول بي ليلٌ كواكبُهُ زهر[3]

أقول إذا ما الجنب ملّ مكانــه ... أشوكٌ يجافي[4] الجنبَ أمْ تحته حجر

فلو أن صخراً من عمايــة راسياً ... يقاسي الذي ألقى لقد ملّه الصخر

ومرّ غلام من قيس بطوائف[5] من جرم وعذرة وكلب ، متجاورين على ماء لهم ، فيقال إن بعض أحداثهم نخس[6] به ناقته ، فألقته فاندقت عنقه فمات ، فاستعدى قومه عليهم عبد الملك بن مروان[7] ، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم ، وذوي الأخطار[8] منهم ، فحبسهم ، وهرب بيهس بن صهيب ، فنزل على محمد بن مروان[9] ، فعاذبه واستجاره ، فأجاره إلاّ من حد توجبه عليه شهادة ، فرضي بذلك وقال وهو متوارٍ عند محمد :

---

(١) التجنب : البعد .

(٢) الهجر : ضد الوصل .

(٣) زهر : جمع زهراء ، وهي النيرة ، المشرقة الوجه .

(٤) جافى : جنب ، باعد .

(٥) طوئف : جماعة : والطائفة مؤنث الطائف وقيل الواحد فصاعداً .

(٦) نخس : غرز المؤخر أو الجنب بعود أو نحوه .

(٧) عبد الملك بن مروان : هو الخليفة الأموي ، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم . ويعد عبد الملك المؤسس الثاني لدولة بني أمية بعد معاوية وكان حازماً عاقلا عالماً مدبراً .

(٨) الأخطار : جمع خطر ، والخطر الشرف وارتفاع القدر .

(٩) محمد بن مروان : آخر خلفاء بني أمية ، كان ذا حزم ومضاء ولكنه ولي الخلافة وهي في حالة انهيار وتفسخ وقد طوي حكم الأمويين حين هزمه جيش أبي مسلم الخراساني وقتله .

لقد كانت حوادثُ معضلاتٌ[1] وأيامٌ أغصتْ[2] بالشرابِ
وما ذنبُ المعاشر في غلامٍ تقطر[3] بين أحواض الجِباب[4]
على قوداء[5] أفرطها[6] جِلال[7] وغض فهي باقية الهباب
ترامت باليدينِ فأرهقته كما زلّ النطيح[8] من الحقاب[9]
فإني والعقابُ وما أُرجّي لكالساعي إلى وضح[10] السراب[11]
فلما أنْ دنا فَرَجٌ بربّي يُكشف عن مخفقة[12] يباب[13]
من البلدانِ ليس بها عريب تخبّ بأرضها ذل[14] الذئاب
فظني بالخليفة أنّ فيهِ أماناً للبريءِ وللمصاب
وأنّ محمّداً سيعود يوماً ويرجع عن مراجعة العتاب
فيحبر[15] صبيتي ويحوط جاري ويؤمن بعدها أبداً صحابي

---

(١) معضلات : جمع معضلة وهي الداهية .
(٢) أغص : جعله يغص ، والغصة الشجا .
(٣) تقطر : سقط ، رمى بنفسه من علو .
(٤) الجباب : جمع جب بالضم وهو البئر البعيدة القعر .
(٥) قوداء : فرس طال ظهرها وعنقها .
(٦) أفرط : نسي وترك وخلف .
(٧) جلال : الجل للدابة كالثوب للإنسان ويجمع على جلال وإجلال .
(٨) النطيح : المشؤوم ؛ من مات بالنطح .
(٩) الحقاب : جمع حقب وهي الدهر وقيل السنون .
(١٠) وضح : البياض ، الضوء .
(١١) السراب : ما تراه نصف النهار في الصحراء كالماء يجري على الأرض عند اشتداد الحر .
(١٢) مخفقة : مفازة .
(١٣) يباب : خراب .
(١٤) ذل : ما هان وتواضع .
(١٥) حبر : سر ، أكرم ، أنعم .

هو الفرع [1] الذي بُنيتْ عليــه بيوتُ الأطيبين ذوي الحجاب[2]

فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه ، حتى أمن بيهس بن صهيب وعشيرته ، واحتمل دية المقتول بعسر وأرضاهم .

(١) الفرع : من كل شيء أعلاه وهو ما يتفرع من أصله .
(٢) الحجاب : هنا كناية عن كرم المحتد والشرف .

مزاحم العقيلي

هو مزاحم بن عمرو بن الحارث العقيلي ، من هوازن ، بدوي ، شاعر فصيح إسلامي ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير [1] والفرزدق [2] وكان جرير يصفه ويقرظه ويمدحه .

قال عمارة بن عقيل: كان جرير يقول : ما من بيتين كنت أُحب أن أكون سبقت إليهما كبيتين من قول مزاحم :

وددت على ما كان من سرف[3] الهوى   وغي الأماني أنَّ ما شئت يفعلُ
فترجِـعُ أيامٌ مضين ولـــذةٌ   تولتْ وهل يثني[4] من العيش أولُ

وقال عمارة بن عقيل : قال عبد الملك بن مروان لجرير ، يا أبا حرزة هل تحب أن يكون لك بشيء من شعرك شيء من شعر غيرك ؟ قال لا ، ما أُحب ذلك إلاّ أن غلاماً ينزل الروضات من بلاد بني عقيل ، يقال له

---

(١) جرير : هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي من تميم ، كان أشعر أهل عصره ، متعدد النواحي الشعرية تصدى له أكثر من ثمانين شاعراً ولم يثبت له سوى الفرزدق والأخطل .

(٢) الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة ، شاعر فحل من شعراء الطبقة الأولى في العصر الأموي كان عظيم الأثر في اللغة وكان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة .

(٣) سرف : ضد القصد وتجاوز الحد والاعتدال ومنه قول العرب ذهب الماء سرفاً أي فاض .

(٤) يثني : يرجع ، يعود .

مزاحم العقيلي ، يقول حوشياً[1] من الشعر ، لا يقدر أحد أن يقول مثله ، كنت أحب أن يكون لي بعض شعره مقايضة[2] ببعض شعري .

ودخل الفرزدق على عبد الملك بن مروان ، أو بعض بنيه ، فقال له أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا ، إلا أن غلاماً من بني عقيل يركب أعجاز[3] الإبل ، وينعت[4] الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق ، فأجابه بجوابه ، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة[5] ، فقال له أنت أشعر الناس ؟ قال لا ولكن غلام يقال له مزاحم من بني عقيل ، يسكن الروضات ، يقول وحشياً[6] من الشعر لا يقدر على مثله ؟ فقال فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك فأنشده قوله :

خليليّ عوجا[7] بي على الدار نسأل ... متى عهدها بالظاعن[8] المتحمل[9]
فعجت وعاجوا فوق بيداء صفقت ... بها الريح جولان[10] التراب المنخل[11]

حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا .

---

(١) حوشياً : وحشياً وغريباً ، يقال هذا يتتبع حوشي الكلام ، ورجل حوشي أي لا يخالط.
(٢) مقايضة : قايض ، عاوض وبادل ، والمقايضة المبادلة .
(٣) أعجاز : جمع عجز .
(٤) ينعت : نعت وصفت ، قال ابن الأثير : النعت وصف الشيء بما فيه من حسن .
(٥) ذو الرمة : غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي ، من مضر ، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره ، كان شديد القصر دميماً ، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال يذهب في ذلك مذاهب الجاهليين ، امتاز بإجادة التشبيه توفي بأصبهان سنة ١١٧ للهجرة .
(٦) وحشياً : الوحشي واحد الوحش ، كل شيء يستوحش عن الناس .
(٧) عوجا : عاج ، أقام وقف رجع .
(٨) الظاعن : الراحل المسافر .
(٩) المتحمل : الذي ارتحل ووضع أحماله على الإبل .
(١٠) جولان : الغبار تقول يوم جولان أي كثير الغبار والتراب .
(١١) المنخل : نخل ، صفى غربل والمنخل المصفى .

وخطب مزاحم العقيلي ، ابنة عم له ، فمنعها لإملاقه [1] وقلة ماله ، وانتظروا بها رجلاً موسراً من قومها ، كان ذكرها ولم يحقق[2] ، وهو يومئذ غائب ، فبلغ ذلك مزاحماً من فعلهم ، فقال لعمه : يا عمّ أتقطع رحمي ، وتختار عليّ غيري لفضل أباعر [3] تحوزها ، وطفيف [4]من الحظ تحظى به ، وقد علمت أني أقرب إليك من خاطبها الذي تريده ، وأفصح منه لساناً ، وأجود كفاً ، وأمنع جانباً ، وأغنى [5] عن العشيرة ؛ فقال له : لا عليك ، فإنها إليك صائرة ، وإنما أعلل أمها بهذا ، ويكون أمرها لك ، فوثق به ؛ وأقاموا مدة ، ثم ارتحلوا ، ومزاحم غائب ، وعاد الرجل الغائب لها ، فذكروا أمرها ، فرغب فيها ، فأنكحوه إياها ، فبلغ ذلك مزاحماً ، فأنشأ يقول :

نزلت بمفضي سيل حرسين والضحى يسيرٍ بأيامِ المحارم [6] آلُهـا [7]
بمسقية الأجفان أكفر [8] دمعهـا مقاربة الآلاف [9] ثم زيالهـا [10]
فلما نهاها اليأس أنْ تؤنس الحمى حمى البئر حلّى[11]عبرة العين جالها[12]

---

(1) الاملاق : شدة الفقر .
(2) يحقق : يثبت ، يوجب ، يفعل .
(3) أباعر : جمع بعير ، الجمل البازل أو الجذع مثل الإنسان يقع على الذكر والأنثى .
(4) طفيف : شيء نزر قليل .
(5) أغنى : ناب تقول فلان أغنى عن فلان أي ناب عنه .
(6) المحارم : جمع محرم وهو الحرام والمحارم ما حرم الله تعالى .
(7) الآل : الأصحاب .
(8) أكفر : لزم الكفر والعصيان .
(9) الآلاف : المشير ج آلف .
(10) زيال : التفرق التباين.
(11) حلى : ألبس حلياً ، زين .
(12) جال : جانب البئر .

أيا ليل انْ تشحط[1] بك الدار غربة سوانا ويعيي النفسَ فيكَ احتيالها
فكم ثم كم من عبرة قد رددتها سريع على جيب القميص انهلالها[2]
خليليَّ هل من حيلة تعلمانها يقربِ من ليلى إلينا احتيالها[3]
فإنَّ بأعلى الأخشبين أراكةً عدتنيَ عنها الحرب دانٍ[4] ظلالها
وفي فرعها لو تستطاع جنانها[5] جنى[6] يجتنيه المجتني أو ينالها
هنيئاً لليلى مهجة ظفرت بها وترويج ليلى حين حان ارتحالها
فقد حبسوها محبس البدن[7] وابتغى بها الربح أقوام تساخف[8] مالها
وإن مع الركب الذين تحملوا غمامةَ صيفٍ زعزعتها شمالها

وفي الأغاني[9] : كان مزاحم العقيلي ، يهوى امرأة من قومه ، يقال لها مية ، فتزوجت رجلاً ، كان أقرب إليها من مزاحم ، فمرَّ عليها بعد أنْ دخل بها زوجها ، فوقف عليها ثم قال :

أيا شفتَي مي أما من شريعة[10] من الموت إلاّ أنتما توردانيا
ويا شفتَي مي أما تبذلان لي بشيء وإنْ أعطيت أهلي وماليا

---

(١) شحط : بعد .
(٢) انهلال : انصباب .
(٣) احتيال : الوسيلة ، السبيل .
(٤) دان : قريب .
(٥) جنان : جمع جنة .
(٦) الجنا : ما يجنى من الشجر ما دام غضاً وفي القاموس كل ما يجنى .
(٧) البدن : جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة .
(٨) تساخف : رقّ وقل ، هزل .
(٩) الأغاني : اتفق أئمة الأدب على أن أمهات الكتب الأدبية أربعة : الأغاني والكامل والأمالي والبيان والتبيين ومن أجل هذه الكتب كتاب الأغاني وقد اتفق على أنه لم يعمل في بابه مثله ويقال ان مؤلفه كتبه في خمسين سنة .
(١٠) شريعة : ما شرع الله لعباده من السنن والأحكام .

فقالت له أعزز علي يا ابن عم بأن تسأل ما لا سبيل إليه وهذا أمر قد خيل دونه ، فاله عنه وانصرف .

وذكر صاحب الأغاني[1] : إن مزاحماً كان يهوى امرأة من قشير يقال لها ليلى بنت موازر ويتحدث إليها مدة ، حتى شاع أمرها ، وتحدثت جواري الحي به ، فنهاه أهلها عنها ، وكانوا متجاورين ، وشكوه إلى الأشياخ[2] من قومه ، فنهوه واشتدوا عليه ، فكان يتفلت[3] إليها في أوقات الغفلات ، فيتحدثان ويتشاكيان ، ثم انتجعت بنو قشير[4] في ربيع لهم ناحية غير تلك ، قد نضّرها[5] غيث وأخصبها ، فبعُد عليه خبرها ، واشتاقها ، فكان يسأل عنها كل وارد[6] ، ويرسل إليها بالسلام مع كل صادر[7] ، حتى ردده[8] عليه راكب من قومها ، فسأله عنها ، فأُخبر أنها خطبت وزوجت ، فوجم طويلاً ، ثم أجهش[9] باكياً وقال :

أتاني بظهر الغيب أنْ قد تزوجتْ ... فظلت بيَ الأرضُ الفضاءُ تدور
وقد زايلت[10] لبي وقد كان حاضراً ... وكاد جناني[11] عند ذاك يطير

---

(1) صاحب الأغاني : هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن القرشي الأموي ، كان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير والحديث وله شعر حسن .
(2) الأشياخ : جمع شخ وهو الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب .
(3) تفلت : خلص إلى ، نازع إلى .
(4) بنو قشير : بطن من سعد العشيرة ، من القحطانية ، كان يقيم بنواحي حضرموت ؛ وبنو قشير بن كعب ، عدة أفخاذ من ديارهم قرن ودارة وسط وفلج .
(5) نضر : جعله ناضراً .
(6) وارد : الآتي إلى الماء ، ومنه المثل ماله صادر ولا وارد أي ماله شيء .
(7) صادر : اسم فاعل وهو الراجع وقد غلب على الراجع عن الماء أي المنصرف .
(8) رده : أعاده .
(9) أجهش : هم به ، تهيأ له .
(10) زايل : فارق ، باين .
(11) الجنان : القلب .

فقلت وقد أيقنت أنْ ليس بيننا تلاقٍ وعيني بالدموع تمور (١)
أيا سرعة الأحباب حين تزوجت فهل يأتيني بالطلاق بشير
ولست بمحصٍ حب ليلى لسائلٍ من الناس إلا أن أقول كثير

لها في سواد القلب تسعة أسهم وللناس طُرّاً (٢) من هوايَ عشير (٣)
وتنشر (٤) نفسي بعد موتي بذكرها مراراً فموتٌ مرةً ونشور
عجبت لربي عجبةً ما ملكتها وربي بذي الشوق الحزين بصير
ليرحم ما أبقى ويعلم أنني له بالذي يُسدي إليّ شكور
لئن كان يهدي برد أنيابها العلا لأحوج مني إنني لفقير

وقيل إن ليلى التي يهواها مزاحم العقيلي، هي التي كان يهواها المجنون (٥) وإنهما اجتمعا في حبها.

ووقع بين مزاحم، وبين رجل من بني جعدة لحاء (٦) في المال فتشاتما، وتضاربا بعصيهما، فشجه (٧) مزاحم شجة أمته (٨)، فاستعدت بنو جعدة (٩) على مزاحم فحبس حبساً طويلاً، ثم هرب من السجن، فمكث

(١) مار: جرى، تحرك.
(٢) طراً: بالضم أي جميعاً دون أن يتخلف منهم أحد.
(٣) عشير: الصديق، زوج المرأة.
(٤) تنشر: تحيى، تقول نشر الله الموتى أي أحياهم.
(٥) المجنون: قيس بن الملوح بن مزاحم العامري، شاعر غزل من أهل نجد عاش في العصر الأموي، كان الأصمعي ينكر وجوده ويقول الكلبي حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له.
(٦) لحاء: قشر الشجر، أو ما على العود من قشره وهنا خصام، مجادلة.
(٧) شج: جرح، كسر.
(٨) أمته: أصابت أم دماغه.
(٩) بنو جعدة: بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية كانوا يقطنون مقاطعة فلج باليمامة، من قراهم أكمة والصدارة ومن ديارهم ملح ومن أوديتهم الغيل.

في قومه مدة ، وعزل ذلك الوالي ، وولّي غيره ، فسأله ابن عم لمزاحم ، يقال له مغلس ، أماناً لمزاحم ، فكتبه له ، وجاءه مغلس والأمان معه ، ففرّ مزاحم ، وظنها حيلة من السلطان ، فهرب وقال في ذلك :

أتاني بقرطاس (١) الأمير مغلسٌ ... فأفزع قرطاسُ الأميرِ فؤاديا
فقلت لـه لا مرحباً بك مرسلاً ... إليَّ ولا لي من أميرك داعيا
أليست جبالُ القهر قصاً مكانها ... وحُزوى (٢) وأجبال لديها كما هيا
أخاف ذنوبي لا تُعد ببابه ... وما قد أزل (٣) الكاشحون (٤) أماميا
ولا استريم (٥) عقبة الأمر بعدما ... تورط في بهماء (٦) كفي وساقيا

ومما يُستحسن من شعر مزاحم قوله :

(لصفراء) في قلبي من الحب شعبة (٧) ... حمى لم تبحه الغانيات سمومُ (٨)
بها حلَّ بيت الحب ثم انثنى بها ... فبانتْ بيوتُ الحيّ وهْوَ مقيمُ
بكتْ دارُهمْ من نأيهم فتهللتْ (٩) ... دموعي فأيَّ الجازعين ألــوم
أمستعبراً يبكي من الحزن والجوى ... أمْ آخرُ يبكي شجوَه فيهيم (١٠)

---

(١) قرطاس : مثلثة القاف وبالكسر أشهر والقرطاس الصحيفة .
(٢) حزوى : بضم أوله وتسكين ثانيه ، موضع بنجد في ديار تميم ، وقال الأزهري : جبل من جبال الدهناء مررت به .
(٣) أزل : ضيق .
(٤) الكاشحون : جمع كاشح .
(٥) استرام : فارق .
(٦) بهماء : ظلماء والبهيم الأسود ، تقول ليل بهيم ، لا ضوء فيه إلى الصباح .
(٧) شعبة : الطرف من كل شيء ، الجزء .
(٨) سموم : الريح الحارة مؤنث .
(٩) تهلل : سال ، تهلل الدمع هما وسال وتهلل الوجه تلألأ .
(١٠) يهيم : هام على وجهه ، ذهب لا يدري أين يتوجه .

تضمّنه من حب صفراءَ بعدما سلا هضباتِ الحب فهو كظيم [1]
ومن يتهيّض [2] حبّهنّ فؤادَه يمتْ أو يعشْ ما عاش وهو سقيم
لحرّان [3] صاد [4] ذيد [5] عن برد مشرب وعن بللات [6] الريق فهو يحوم [7]

وينسب إليه قوله :

ووجدي بها وجدُ المضل [8] بعيرَه (بمكة) [9] لم تعطفْ عليه العواطفُ [10]
رأى من رفيقيه الجفاءَ وفاته بنشدتها المستعجلات [11] الخوائف [12]
وقالوا تعرفها المنازل من (منى) [13] وما كلّ من وافى منى أنا عارف

وقد جمع شعر مزاحم العقيلي أبو سعيد السكري كما ورد في كتاب الفهرست [14] .

---

(١) كظيم : مكروب ، والمكظوم المكروب .
(٢) تهيض : انكسر بعد الجبر وتهيضه الغرام عاوده مرة أخرى .
(٣) حران : الشديد العطش ج حرار وحرارى .
(٤) صاد : الشديد العطش .
(٥) ذيد : دفع .
(٦) بللات : الماء ، ما يبل به الحلق من ماء أو لبن .
(٧) حام : عطش فهو حائم وهي حائمة .
(٨) المضل : الذي أضاع شيئاً ؛ أضل فلان فرسه ذهب عنه وضاع منه .
(٩) مكة : سميت مكة لازدحام الناس فيها ولأنها عبدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم امتك الفصيل اخلاف الناقة إذا جذب جميع ما فيها ، ولها أسماء غير ذلك وهي بكة والنسانة وأم القرى والحاطمة والبلد الأمين ، وهي مدينة في واد قائم بها الكعبة .
(١٠) العواطف : جمع عاطفة ، والعاطفة مؤنث العاطف وهو السادس من خيل السباق .
(١١) المستعجلات : ج مستعجلة وهي المسرعة ؛ استعجله حثه طلب عجلته ولم يصبر على وقته .
(١٢) الخوائف : كثيرة الخوف .
(١٣) منى : بالكسر والتنوين في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم سمي بذلك لما يمنى من الدماء أي يراق ، وهي بليدة على فرسخ من مكة .
(١٤) كتاب الفهرست : هو من أقدم كتب التراجم وأجلها ، ألفه أبو الفرج محمد بن إسحاق ، كان شيعياً معتزلا ، واسع الاطلاع ، ثقة صادق التحري توفي سنة ٤٣٨ للهجرة .

وقال الأصمعي [١] : سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري ، فقال عن أيهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رموا بالجنون ، فعن أيهم تسأل ؟ فقلت عن الذي كان يشبب بليلى ، قلت فأنشدني لبعضهم ، فأنشدني لمزاحم :

ألا أيها القلب الذي لجّ هائماً ... وليداً بليلى لم تقطعْ تمائمهْ [٢]
أفقْ قد أفاق العاشقون وقد أتى ... لك اليوم أنْ تلقى طبيباً تلائمهْ
أجدّك لا تنسيك ليلى ملمةٌ [٣] ... تلمّ ولا عهد يطول تقادمه

وقال ابن الأعرابي ، كان معاذ بن كليب مجنوناً ، وكان يحب ليلى ، وشركه في حبها مزاحم العقيلي ، فقال مزاحم يوماً للمجنون :

كلانا يا معاذُ بحبّ ليلى ... بفيَّ وفيكَ من ليلى الترابُ
شركتك في هوى من كان حظّي ... وحظّكَ من مودتها العذابُ
لقد خبلتْ فؤادكَ ثمّ ثنّتْ ... بعقلي فهو مخبول [٤] مُصابُ

قال فيقال ، إنه لما سمع هذه الأبيات التبس [٥] وخولط [٦] في عقله ؛ واجتمع العجير السلولي وأوس بن غلفاء الهجيمي ومزاحم العقيلي والعباس بن يزيد ابن الأسود الكندي وحميد بن ثور الهلالي ، فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا

---

(١) الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن علي الباهلي ، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر ، شهد له أئمة اللغة بعلو كعبه وتمكنه من أسرار اللغة ورواية الشعر ، كان يحفظ عشرة آلاف أرجوزة توفي في البصرة سنة ٢١٦ .
(٢) التمائم : جمع تميمة وهي عوذة تعلق على صغار الإنسان مخافة العين .
(٣) ملمة : مصيبة ، داهية .
(٤) مخبول : من أصابه الخبال ، والخبال فساد يكون في الأفعال والأبدان والعقول .
(٥) التبس : اشتبه وأشكل .
(٦) خولط : اضطرب واختل .

وادعى كلُّ واحد منهم أنه أشعر من صاحبه، ومرَّ بهم سرب قطا[1]، فقال أحدهم تعالوا حتى نصف القطا، ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأينا كان أحسن وصفاً لها، غلب أصحابه، فتراهنوا على ذلك، وكان قول مزاحم :

أذلك أم كدرية[2] هاج وردها[3] ... من القيظ[4] يوم واقد وسموم[5]
غدت كنواة[6] القسب[7] لا مضمحلة ... وناة[8] ولا عجلى الفتور سؤوم[9]
يواشك[10] رجع المنكبين وترتمي ... إلى كلكل[11] للهاديات[12] قدوم[13]
فما انخفضت حتى رأت ما يسرها ... وفيء الضحى قد مال وهو ذميم
أباطح[14] وانتصت[15] على حيث تستقي ... بها شرك للواردات مقيم
سقتها سيول المدجنات[16] فأصبحت ... علاجيم[17] تجري مرة وتدوم

---

(١) القطا : جمع قطاة وهي ضرب من الحمام صوته قطا قطا وقد يطلق الحمام عليه للمشابهة .
(٢) كدرية : ضرب من القطا غبر الألوان .
(٣) الورد : الماء الذي يورد ، النبع .
(٤) القيظ : شدة الحر ، ويقال هو فصل الصيف .
(٥) سموم : ريح حارة محرقة .
(٦) نواة : بزر التمر وخلافه من الثمر .
(٧) القسب : تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة .
(٨) وناة : بطيئة القيام والقعود والمشي .
(٩) سؤوم : ملول .
(١٠) يواشك : يسارع .
(١١) كلكل : الصدر ، أو مقدم الصدر .
(١٢) الهاديات : أول رعيل الإبل .
(١٣) قدوم : الشجاع الجريء الكثير الإقدام .
(١٤) أباطح : جمع أبطح وهو مسيل الوادي .
(١٥) انتص : قعد على المنصة ؛ ارتفع واستقام .
(١٦) المدجنات : الأمطار المطبقة الغزيرة ؛ السحب الكثيفة .
(١٧) علاجيم : جمع علجوم وهنا موج البحر لأن لها عدة معان .

فلما استقت من بارد الماء وانجلى عن النفس منها لوحة [1] وهموم
دعتْ باسمها حين استقت فاستقلها [2] قوادم [3] حجنٌ [4] ريشهنّ مليم
بحوز كحق [5] الهاجرية زانــــه بأطراف عود الفارسيّ وشوم [6]
لتسقيَ زغباً [7] بالتنوفة [8] لم يكن خلاف مولاهــا لهنّ حميم
ترائك [9] بالأرض الفلاة ومن يدع بمنزلها الأولاد فهو مليـــم
إذا استقبلتها الريح طـمّـتْ رفيقة وهن بمهوى [10] كالكرات [11] جثوم [12]
يواطئن وقصاء [13] القفا وحشة الشوى [14] بدعوى القطا لحنٌ لهن قـــديم
فبتن قريرات العيون وقـــد جرى عليهن شربٌ [15] فاستقين منيم [16]

---

(١) لوحة : عطش .
(٢) استقل : حمل ورفع .
(٣) قوادم : جمع قادمة وهي عشر ريشات في مقدم الجناح وهي كبار الريش .
(٤) حجن : جمع أحجن وهو المعوج .
(٥) الحق : وعاء الطيب .
(٦) وشوم : جمع وشم وهو النقش .
(٧) زغب : جمع أزغب وهو الطائر الصغير الذي نبت زغبه .
(٨) التنوفة : المفازة ، الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس .
(٩) الترائك : جمع تريكة وهي البيضة خرج منها الفرخ ، وقيل بيضة النعام خاصة .
(١٠) مهوى : منحدر .
(١١) كرات : جمع كرة وهي كل جسم مستدير .
(١٢) جثوم : متلبد بالأرض .
(١٣) وقصاء : قصيرة ، وللمذكر أوقص .
(١٤) الشوى : قحف الرأس وجلدته ويطلق على الأطراف .
(١٥) شرب : الماء المشروب ، المورد ، وقت الشرب .
(١٦) منيم : ما يسبب النوم .

صبيب[1] سقاء نيط قد بركتْ بـه معاودة سقيَ الفراخِ رؤوم[2]

واحتكموا إلى ليلى الأخيلية [3]، فحكمت لأوس بن غلفاء .

---

(١) صبيب : الماء المصبوب .

(٢) رؤوم : حنون ، كثيرة العطف .

(٣) ليلى الأخيلية : ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب من بني عامر ، شاعرة فصيحة اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير ، وطبقتها في الشعر تلي طبقة الخنساء ماتت في سامرة ودفنت بها سنة ٨٠ للهجرة .

مالك بن الريب

هو مالك بن الريب بن حوط من مازن [١]، كان شاعراً فاتكاً [٢] لصاً، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة [٣]، من شعراء الإسلام، في أول أيام بني أمية [٤]، وأحد أصحاب المراثي.

كان يقطع الطريق هو وأصحاب له، منهم شظاظ وأبو حردبة وغويث، فساموا الناس شراً، وطلبهم مروان بن الحكم [٥] وهو عامل على المدينة، فهربوا، فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي، وهو عامله على بني عمرو ابن حنظلة، يطلبهم فهربوا منه، وبلغ مالك بن الريب أن الحارث بن حاطب يتوعده، فقال:

---

(١) مازن: الموازن أربعة: مازن قريش، مازن اليمن، مازن ربيعة ومازن تميم وهو مازن بن عمرو بن تميم.

(٢) فاتك: بطاش، الجريء الشجاع وقال ابن دريد: هو الذي هم بشيء فعل.

(٣) البصرة: اسم ناحية في العراق كانت في العهد العباسي مركزاً هاماً لتدريس اللغة والنحو.

(٤) بنو أمية: يعرفون بالأمويين نسبة إلى جدهم أمية بن عبد شمس، أسسوا دولتين عظيمتين، إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، أما المشرقية بدأت بمعاوية بن أبي سفيان وانقرضت سنة ١٣٢ هـ.

(٥) مروان بن الحكم: تولى الخلافة بعد أن خلع نفسه معاوية بن يزيد، كان قصيراً أوقص يكنى أبا الحكم توفي سنة ٦٥ هـ وخلفه على الملك ابنه عبد الملك.

تألّى (١) حلفةً في غير جرمٍ ... أُميري حارُ (٢) شبّةَ الضرارِ

عليَّ لأجلدنْ في غير جرمٍ ... ولا أدنى فينفعني اعتذاري

وقلتُ وقد ضممتُ إليّ جأشي ... تحلّلْ لا تألّ عليّ حارِ

فإني سوف يكفينيك عزمي ... ونصّي (٣) العيسَ في البلدِ القفارِ

وعنسٍ (٤) ذاتُ معجمةٍ أمونٍ (٥) ... علنداةٍ (٦) موثّقةِ الفقارِ

تزيف (٧) إذا تواهقتِ (٨) المطايا (٩) ... كما زافَ المشرّفُ (١٠) للخطارِ (١١)

وإنْ ضربتْ بلحييها (١٢) وعامتْ ... تقصّمَ (١٣) عنهما حلقُ السفارِ (١٤)

مراحاً غيرَ ما ضغنٍ ولكنْ ... لجاجاً حين تشتبه الصحاري

إذا ما استعملتْ جوناً (١٥) بهيماً (١٦) ... تفرّجَ عن مخيّسةٍ (١٧) حضارِ (١٨)

---

(١) تألى : حلف ، أقسم .

(٢) حار : مرخم اسم حارث .

(٣) النص : نص ناقته استحثها واستقصى آخر ما عندها من السير .

(٤) عنس : الناقة القوية الصلبة .

(٥) أمون : المطية الموثقة الخلق المأمونة الكلال والعثار .

(٦) علداة : مؤنث الغليظ من كل شيء وقيل البعير الضخم .

(٧) تزيف : تسرع في تمايل .

(٨) تواهق : مدّ البعير عنقه في السير وبارى الآخر .

(٩) المطايا : جمع مطية وهي الدابة تمطو في سيرها أي تجد في سيرها .

(١٠) المشرف : الذي يتطلع إلى ، الذي يضع يده على حاجبه ليبصر ويتبين .

(١١) الخطار : السبق الذي يترامى عليه في التراهن .

(١٢) لحي : عظم الحنك الذي عليه الأسنان .

(١٣) تقصم : انكسر من غير بينونة .

(١٤) السفار : حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير بمنزلة الحكمة للفرس .

(١٥) الجون : مصدر يطلق على الأسود وعلى الأبيض .

(١٦) بهيم : الأسود الخالص .

(١٧) مخيسة : التي حبست النحر .

(١٨) حضار : هجان الإبل أي بيضها وقيل الحمر .

إذا ما حال روض رباب دوني ... وتثليث [1] فشأنك بالبكار [2]

وأنيابي سيخلفهن سيفي ... وشداتُ الكمي [3] على التجار [4]

فإن أسطعْ أرحْ منه أناسي [5] ... بضربة فاتك غير اعتذار

وإنْ يفلتْ فإني سوف أبغي ... بنيه بالمدينة [6] أو صرار [7]

ألا من مبلغ مروانَ عنّي ... فإنّي لست دهري بالفرار

ولا جزع من الحدثان [8] يوماً ... ولكني أرودُ لكم وبار [9]

بهزمار [10] تراد العيسُ فيها ... إذا أشفقنَ من قلق الصغار

وهنّ يحشن [11] بالأعناق حوشاً ... كأن عظامهن قداح [12] بار [13]

كأنّ الرحل أسأر [14] من قراها ... هلال عشية بعد السّرار [15]

رأيت وقد أتى نجران [16] دوني ... لليلى بالغُميّم ضوء نار

---

(١) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة ؛ ويوم تثليث من أيام العرب بين بني سليم ومراد .

(٢) البكار : الأنثى من الإبل .

(٣) الكمي : لابس السلاح وسمي به لأنه كمى نفسه أي سترها بالدرع .

(٤) التجار : الحذاق بالطعان ؛ والذين يبيعون ويشترون .

(٥) أناسي : جمع أنسي وهو البشر .

(٦) المدينة : من مدن الحجاز الشهيرة كانت عاصمة الخلفاء الراشدين وبها مقام الرسول (ص).

(٧) صرار : بكسر الصاد موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق .

(٨) الحدثان : نوائب الدهر .

(٩) وبار : أرض بين اليمن ورمال يبرين .

(١٠) هزمار : اسم مكان .

(١١) حاش : فزع ، انكمش وأسرع .

(١٢) قداح : جمع قدح وهو السهم قبل أن ينصل ويراش .

(١٣) بار : اسم فاعل من برى أي نحت .

(١٤) أسأر : بمعنى سأر أي أبقى بقية في الحوض أو الاناء .

(١٥) السرار : آخر ليلة من الشهر .

(١٦) نجران : نجران عدة مواضع منها نجران وهي ناحية في مخاليف اليمن من ناحية مكة، ويذكر الكلبي أن أول من عمرها ونزلها المرعف .

إذا ما قلت قد خمدت زهاها[1] عصيّ الزند[2] والعصف السواري[3]
يشبّ وقودها ويلوح وهناً[4] كما لاح الشبوب[5] من الصواري[6]
كأن النـاز إذْ شَبّتْ لِيالي أضاءت جيدَ مغزلة[7] نوار[8]
وتصطاد القلوب على مطاها[9] بلا جعد[10] القرون ولا قصار
وتبسم عن نقيّ اللون عـذب كما شيف[11] الأقاحي بالقطار[12]
أتجزع انْ عرفتَ ببطن قوٍ[13] وصحراء الأديهم[14] رسم دار
وإن حل الخليط[15] ولست منهـم مراتع بين ذحـل إلى سرار
إذا خلـوا بعـائجة[16] خـلاء تقطف نور حنوتهـا[17] العذار

---

(١) زها : أشرق ، زهر .
(٢) الزند : العود الأعلى الذي يقتدح به النار .
(٣) السواري : الثابت ؛ الرامي بالسهام عند الفرس.
(٤) وهناً : منتصف الليل .
(٥) الشبوب : الفرس تجوز رجلاه يديه .
(٦) الصواري : القطيع .
(٧) مغزلة : من تجيد حديث الغزل .
(٨) نوار : المرأة النفور من الريبة ج نور.
(٩) مطاها : المطا بمعنى الظهر .
(١٠) جعد : ما فيه التواء وتقبض أو القصير منه .
(١١) شيف : على المجهول تزين تقول شيفت الجارية تزينت .
(١٢) القطار : بالضم السحاب العظيم القطر .
(١٣) قو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة ، وبطن قو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج وعليه قنطرة يعبر القفول عليها .
(١٤) الأديهم : رعن ينقاد من أجأ مشرقاً والنعف رعن بطرفه ، كما ذكر الحازمي .
(١٥) الخليط : ابن العم ، الشريك ، الجار .
(١٦) عائجة : الناقة لينة الانعطاف .
(١٧) حنو : كل ما فيه اعوجاج من البدن ، وكل عود معوج .

وبينا مالك بن الريب ذات ليلة في بعض هناته[1] ، وهو نائم ، وكان لا ينام إلاّ متوشحاً بالسيف ، إذ هو بشيء قد جثم عليه ، لا يدري ما هو ، فانتفض به مالك ، فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه[2] نصفين ، ثم نظر إليه ، فإذا هو رجل أسود ، كان يقطع الطريق في تلك الناحية ، فقال مالك في ذلك :

أدلجت[3] في مهمه[4] ما ان أرى أحداً حتّى إذا حان تعريس[5] لمن نزلا
وضعت جنبي وقلت الله يكلؤني[6] مهما تنم عنك من ليـــل فما غفلا
والسيف بيني وبين الثوب مشفره[7] أخشى الحوادث إني لم أكن وكلا[8]
مـــا نمت إلاّ قليلاً نمتـــه شئزاً حتّى وجدت على جثماني الثقلا
داهية[9] من دواهي الليل بيتني مجاهداً يبتغي نفسي وما ختلا[10]
أهويت نفحـــاً لـــه والليل ساتره إلاّ توخيته والجرس[11] فانختلا[12]
لمـــا ثنى الله عني شر عـــدوته رقدت لا قبتاً ذعراً ولا بعلا[13]

---

(١) هناة : جمع هنوات والهناة كفتاة الداهية .
(٢) قد : قطع ، قسم .
(٣) أدلج : سار في أول الليل وربما استعمل لسير آخر الليل .
(٤) مهمه : البيداء ، الأرض التي لا ماء فيها ولا نبات .
(٥) التعريس : وقت النوم ، الاستراحة .
(٦) كلأ : رعى ، حمى ، عطف .
(٧) مشفره : حده .
(٨) الوكل : العاجز ، الجبان ، البليد .
(٩) الداهية : الأمر العظيم ، الأمر المنكر .
(١٠) ختل : خدع وزاد في اللسان عن غفلة .
(١١) الجرس : الصوت أو خفيه .
(١٢) انختل : رق .
(١٣) بعل : دهش فرق ، برم لم يدر ما يصنع .

أما ترى الدار قفراً لا أنيسَ بها إلاّ الوحوش وأمسى أهلها احتملا[1]

بين المنيفة [2]حين استنّ [3] مدفعها[4] وبين فردة [5]من وحشيّها قبلا [6]

وقد تقول وما تخفي لجارتها إني أرى مالك بن الريب قد نحلا[7]

من يشهد الحرب يصلاها[8] ويسعرها[9] تراه ممّا كسته شاحباً وجلا [10]

خذها وإني لضرّاب إذ اختلفت أيدي الرجال بضربٍ يختل[11] البطلا

وقال مالك في ذلك أيضاً :

يا غاسلاً [12] تحت الظلام مطيّة[13] متخاتلاً [14] لا بل غير مخاتل

إني أتحت [15] لشابك أنيابـــه [16] مستأنس بدجى الظلام منازل

---

(١) احتمل : احتمل الشدة صبر عليها ، احتمل الأمر أطاقه .

(٢) المنيفة : مكان .

(٣) استن : قمص وعدا اقبالا وإدباراً ، واستن الطريق وضح .

(٤) مدفعها : مذنب الدافعة لأنها تدفع إلى الدافعة الأخرى ؛ مدافع المياه التي تجري .

(٥) فردة : مكان .

(٦) قبل : نشز من الأرض ، رأس كل أكمة أو جبل .

(٧) نحل : أصبح سقيماً ، هزيلا .

(٨) يصلاها : يقاسي حرها ، يحترق بها .

(٩) يسعرها : يوقدها ، يؤججها .

(١٠) الوجل : الخائف .

(١١) ختل : راغ ، خدع .

(١٢) الغاسل : اسم فاعل وهو الذي يغسل .

(١٣) مطية : الدابة تمطو في سيرها أي تسرع وتجد .

(١٤) متخاتل : مخادع ، وخاتل مشى قليلا قليلا لكي لا يسمع حسه .

(١٥) أتاح : هيأ .

(١٦) انيابه : جمع ناب وهي الناقة المسنة .

لا يستريع [1] عظيمة [2] يُرمى بها حصباً [3] يحفز [4] عن عظام الكاهل
حرباً تنبضه [5] بنبت هواجر [6] عاري الأشاجع [7] كالحسام الناصل [8]
لم يدر ما غرف القصور وفيؤها طيباً ونخـــل سوادها المتمايل
يعظ الفؤاد إذا القلوب تآنست [9] جزعاء وثبـــة كل أروع باسل [10]
حيث الدجى متطلعـــاً لغفوله [11] كالذئب في غلس [12] الظلام الخاتل [13]
فوجـــدته ثبت الجنان مشيعـــاً [14] ركّاب منسج [15] كل أمر هائل
فقَرَاك [16] أبيض [17] كالعقيقة [18] صارماً ذا رونق يعني [19] الضريبة فاصل [20]

---

(١) استراع : أكبر ، خاف وخشي .
(٢) عظيمة : الأمر الجلل .
(٣) حصبك : رماه بالحصباء واستعمل في كل رمي .
(٤) يحفز : يرمي .
(٥) تنبض : تسيل ، تحرك وتضرب .
(٦) هواجر : جمع هاجرة وهي نصف النهار في القيظ .
(٧) الأشاجع : أصابع اليد ، وقيل هي عروق ظاهر الكف .
(٨) الناصل : اسم فاعل تقول سهم فاصل إذا خرج منه نصله وسهم ناصل ذو نصل .
(٩) تآنس : وعى .
(١٠) باسل : شجاع بطل جمع بسلاء وبسل .
(١١) غفول : كصبور ، الناقة البلهاء التي لا تمتنع من فصيل يرضعها .
(١٢) غلس : كلمة آخر الليل .
(١٣) الخاتل : الخادع ، المبهم .
(١٤) مشيعاً : اسم مفعول ، هو الرجل الشجاع كأنه قد شيع قلبه بما يركب كل هول .
(١٥) منسج : أداة يمد عليها الثوب لينسج ، وقيل منتهى عرف الدابة تحت القربوس .
(١٦) قراك : قرى ؛ جاد أعطى .
(١٧) أبيض : صفة للسيف .
(١٨) **العقيقة** : البرقة التي تستطيل في عرض السحاب ، وتستعار الصفة السيف .
(١٩) يعني : أهم ، شغل .
(٢٠) فاصل : قاطع .

فركبت ردعك[1] بين ثنيا[2] فائز يعلو به أثر الدماء وسائل[3]

وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم في بعض مفازاته ، إذ بيته[4] ذئب ، فزجره فلم يزدجر ، فأعاد فلم يبرح[5] فوثب إليه بالسيف ، فضربه وقتله ، وقال في ذلك :

أذئب الفضا قد صرت للناس ضحكة تغادي[6] بك الركبان[7] شرقاً إلى غرب
فأنتَ وإن كنتَ الجريء جنانُهُ مُنيت بضرغام من الأسد الغلب[8]
بمنْ لا ينام الليل إلاّ وسيفه رهينة أقوام سراع إلى الشعب[9]
ألم ترني يا ذئب إذ جئت طارقاً[10] تخاتلني إني امرؤ وافر اللب[11]
زجرتك مرات فلما غلبتني ولم تنزجر نهنهت[12] غربك[13] بالضرب
فصرت لقاً[14] لما علاك ابن حرة بأبيضَ قطّاع يُنجي من الكرب[15]

---

(١) الردع : يقال للقتيل ركب ردعه إذا خر لوجهه على دمه .
(٢) الثني : واحد أثناء الشيء أي تضاعيفه .
(٣) وسائل : جمع وسيلة وهي ما يتقرب بها إلى الغير .
(٤) بيت : غزاه في الليل .
(٥) برح : زال عهد .
(٦) تغادي : تغادى ذهب غدوة وهو نقيض راح ثم استعمل في الذهاب والانطلاق .
(٧) الركبان : الفرسان .
(٨) الغلب : الغليظ العنق كناية عن القوة والشدة .
(٩) الشعب : التباعد ، التفرق .
(١٠) الطارق : الضيف الذي يأتي في الليل .
(١١) اللب : العقل .
(١٢) نهنه : زجر ، كف .
(١٣) الغرب : أول كل شيء وحده .
(١٤) لقاً : الشيء الملقى المطروح وجمعها ألقاء .
(١٥) الكرب : الضيق ، الشدة .

ألا ربَّ يوم ٍ ريبَ[1] لو كنت شاهداً لهالَكَ ذكرى عند معمعة [2] الحرب
ولست ترى إلا كميـاً [3] مجدَّلاً [4] يداه جميعاً تثبتان من التّرب
وآخر يهوي طائر القلب هاربـاً وكنت امرءاً في الهيج[5] مجتمع القلب
أصول بذي الزرين أمشي عرضة [6] إلى الموت والأقران [7] كالإبل الجرب
أرى الموت لا انحاش [8] عنه تكرماً ولو شئت لم أركب على المركب الصعب
ولكنْ أبت نفسي وكانت أبية تقاعس[9] أو ينصاع [10] قوم من الرعب

ولما استعمل معاوية[11] بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان[12] ، ومضى سعيد بجنده في طريق فارس ، لقيه بها مالك بن الريب ، وكان من أجمل الناس وجهاً ، وأحسنهم ثياباً ، فلما رآه سعيد ، أعجبه وقال له : مالك ويحك ، تفسد نفسك بقطع الطريق ، وما يدعوك إلى ما

(١) راب : أفزع .
(٢) معمعة : مصدر ، صوت الأبطال في الحرب ؛ شدة الحرج .
(٣) الكمي : الفارس الذي يحمل سلاحه .
(٤) مجدلا : معفراً على الأرض .
(٥) الهيج : الحرب .
(٦) عرضة : مشي في ميل من الزهو .
(٧) الأقران : جمع قرن هو الصاحب ، الخليل .
(٨) انحاش : نفر ، تقبض .
(٩) تقاعس : تأخر ولم يتقدم .
(١٠) انصاع : اشتد بياض لونه .
(١١) معاوية بن أبي سفيان : مؤسس الدولة الأموية وأحد دهاة العرب المرموقين، تولى الخلافة سنة ٤١ للهجرة بعد قتل الإمام علي (رض) وعهد بالخلافة من بعده إلى ابنه يزيد .
(١٢) خراسان : بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو .

يبلغني عنك من العيث[1] والفساد ، وفيك هذا الفضل ؟ قال يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروآت ومكافأة الاخوان ، قال فإن أنا أغنيتك واستصحبتك، أتكف عما كنت تفعل ؟ قال أي والله أيها الأمير ، أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه ؛ فاستصحبه وأجرى له خمسماية درهم في كل شهر ، فقال مالك في ذلك ، وكان هارباً من وجه مروان بن الحكم :

أحقاً على السلطان أما الذي له ... فيعطى وأما ما يُراد فيمنعُ
إذا ما جعلت الرمل بيني وبينه ... وأعرض[2] سهب[3] بين يبرين[4] بلقع[5]
من الآدمي لا يستحم بها القطا ... تكلّ الرياح دونه فتقطع
فشأنكم في آل مروان فاطلبوا ... سقاطي[6] فما فيه لباغيه مطمع
وما أنا كالعير[7] المقيم لأهله ... على القيد في بجبوحة الضيم يرتع
ولولا رسول الله إن كان منكمُ ... تبين من بالنصف يرضى ويقنع

وقال أيضاً :

لو كنتمُ تنكرون[8] الغدر قلت لكم ... يا آل مروان جاري منكم الحكم
وأتقيكم يمين الله ضاحية ... عند الشهود وقد توفي به الذمم

---

(١) العيث : الفساد .
(٢) أعرض : ظهر وبرز .
(٣) سهب : بفتح السين وسكون الهاء الفلاة وبضم السين المستوى البعيد من الأرض .
(٤) يبرين : من أصقاع البحرين ، وقيل هو رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة ، وقال السكري موضع في أعلى بلاد بني سعد .
(٥) بلقع : لا نبات به ، يباب .
(٦) سقاطي : العثرة والزلة .
(٧) العير : الحمار .
(٨) تنكرون : تنهون وتعيبون .

لا كنت أحدث سوءاً في امارتكـــم ... ولا الذي فات مني قبل ينتقـــم
نحن الذين إذا خفتـــم مجللـــة[1] ... قلتم لنـــا إننـــا منكم لتعتصموا
حتى إذا انفرجت عنكم دجنتهـــا[2] ... صرتم كجرم[3] فلا إل[4] ولا رحم

قال أبو عبيدة : لما خرج مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان . تعلقت ابنته بثوبه وبكت ، وقالت له : أخشى أن يطول سفرك ، أو يحول الموت بيننا فلا نلتقي ، فبكى وأنشأ يقول :

ولقـــد قلت لابنتي وهي تبكي ... بدخيـــل الهموم قلبـــاً كثيبا
وهي تذري[5] من الدموع على الخد ... ين من لوعة الفراق غروبا[6]
عبرات يكـــدن يجرحن مـــا جز ... ن بـــه أو يدعن فيه ندوبا[7]
حذر الحتف[8] أن يصيب أباها ... ويلاقي في غير أهل شعوبا[9]
اسكتي قد حززت بالدمع قلبي ... طـــالما حزّ دمعكن القلوبـــا
فعسى الله أنْ يـــــدافع عني ... ريب[10] ما تحذرين حتى أؤوبا[11]
ليس شيئـــاً يشاؤه ذو المعـــالي ... بعزيز[12] عليه فادعي المجيبـــا

---

(١) مجللة : الأمر العظيم .
(٢) دجنة : الظلمة .
(٣) جرم : قبيلة .
(٤) إل : الأمان .
(٥) تذري : تسفح .
(٦) غروب : شآبيب الدمع .
(٧) ندوب : جروح .
(٨) الحتف : الردى ، الهلاك .
(٩) شعوب : الموت .
(١٠) ريب : صرف ، شدة .
(١١) آب : رجع ، عاد .
(١٢) عزيز : غال نادر .

ودعي أن يقطع الآن قلبي. أو تريني في رحلتي تعذيبا
أنا في قبضة الإله إذا كنـ ـت بعيداً أو كنت منك قريبا
كم رأينا امرءاً أتى من بعيد ومقيماً على الفراش أصيبا
فدعيني من انتحابك [١] إني لا أبالي إذا اعتزمت النحيبا
حسبيَ الله : ثمّ قربت للسير علاةً [٢] أنجب [٣] بها مركوبا

وانطلق مالك مع سعيد بن عثمان إلى خراسان ،حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم ، احتاجوا إلى لبن ، فطلبوا صاحب إبلهم ، فلم يجدوه ، فقال مالك لغلام من غلمان سعيد : ادن مني فلانة ، لناقة كانت لسعيد غزيرة ، فأدناها منه ، فمسحها [٤] وأبس [٥] بها ، حتى درت [٦] ، ثم حلبها ، فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزر درة ، فانطلق الغلام إلى سعيد فأخبره ، فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقوم بأمر إبلي فتكون فيها ؟ وأجزل لك الرزق إلى ما أرزقك وأضع عنك الغزو ؟ فقال مالك في ذلك :

إني لأستحيي الفوارس أن أرى بأرض العدا بوّ [٧] المخاض [٨] الروائم [٩]
وإني لأستحيي إذا الحرب شمّرت أن أرفض دون الحرب ثوب المسالم

---

(١) انتحاب : بكاء .
(٢) علاة : الناقة المشرفة الصلبة .
(٣) أنجب : أكرم .
(٤) مسح : أمر يده على .
(٥) أبس : دعاها إليه .
(٦) در : سال ، امتلأ لبناً .
(٧) بو : جلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر .
(٨) المخاض : الطلق في حين النفاس .
(٩) الروائم : جمع رائم وهي الناقة التي تعطف على فصيلها .

وما أنا بالنائي الحفيظة[1] في الوغى . ولا الملتقي في السلم جر الجرائم[2]
ولا المتـــأتي في العواقب للذي أهم به من فاتكات العـــزائم
ولكنني مستوحـــد[3] العزم مقدم على غمرات[4] الحادث المتفـــاقم
قليل اختلاف الرأي في الحرب باسل[5] جميع الفؤاد عند حلّ العظائم

فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان ، علم أنه ليس بصاحب إبل وانه صاحب حرب ، فانطلق به معه .

ومرض مالك ، عند قفول سعيد بن عثمان من خراسان ، في طريقه ، وقال قبل موته قصيدة يرثي بها نفسه ، وهي إحدى المراثي :

ألا ليت شعري هـــل أبيتنّ ليلة بجنب الغضا أزجي[6] القلاص[7] النواجيا[8]
فليت الغضا[9] لم يقطع الركب[10] عرضه وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا مزار ولكنّ الغضا ليس دانيا
ألم ترني بعت الضـــلالة بـــالهدى وأصبحت في جيش ابن عفان[11] غازيا

---

(١) الحفيظة : شدة الغضب والبأس .
(٢) الجرائم : جمع جريمة وهي الذنب .
(٣) مستوحد : واحد .
(٤) غمرات : جمع غمرة وهي الشدة ، الظلمة .
(٥) باسل : الشجاع البطل .
(٦) أزجي : أسوق .
(٧) القلاص : جمع قلوص وهي الناقة الشديدة.
(٨) النواجي : جمع ناجية وهي الناقة الطويلة القوائم خاص بالاناث .
(٩) الغضا : شجر عظيم من الأثل واحدته غضاة .
(١٠) الركب : كصحب ركبان الإبل وقد يكون للخيل .
(١١) ابن عفان : هو الأمير سعيد بن عثمان .

دعاني الهوى من أهل ودّي وصحبتي ... بذي الطبسين[1] فالتفت ورائيا
أجبت الهوى لما دعاني بزفرة ... تقنّعتُ منها أنْ ألام ردائيا
لعمري لئن غالت خراسان هامتي[2] ... لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
فلله دري يوم أترك طائعاً ... بنيّ بأعلى الرقمتين[3] وماليا
ودرّ الظباء السانحات[4] عشية ... يخبرن أني هالك من ورائيا[5]
ودر كبيريّ[6] اللذين كلاهما ... عليّ شفيق ناصح لو نهانيا
ودر الهوى من حيث يدعو صحابه ... ودر لجاجاتي[7] ودر انتهائيا
تذكرت من يبكي عليّ فلم أجد ... سوى السيف والرمح الردينيّ[8] باكيا
وأشقر[9] خنذيذ[10] يجرّ عنانه ... إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا
ولكن بأطراف السمينة[11] نسوة ... عزيز عليهن العشيةَ ما بيا
صريع على أيدي الرجال بقفرة ... يسوّون قبري حيث حُمّ[12] قضائيا[13]

---

(١) بذي الطبسين : تثنية طبس فارسية وهي ناحية بين نيسابور وأصبهان تسمى قهستان قاين .
(٢) هامتي : الهامة الرأس .
(٣) الرقمتين : تثنية الرقمة وهو مجتمع الماء في الوادي؛ قال السكوني الرقمتان قريتان بين البصرة والنباج وهما منزل مالك بن الريب .
(٤) السانحات : السانح الذي يأتي من جانب اليمين والبارح الذي يأتي من جانب اليسار .
(٥) ورائيا : بمعنى أماميا .
(٦) كبيري : هنا الأب والأم .
(٧) لجاجات : خصومات ، الصخب ، كثرة الأصوات .
(٨) الرديني : الرمح .
(٩) أشقر : صفة للجواد وهي في الخيل حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب .
(١٠) خنذيذ : الطويل الصلب .
(١١) السمينة : مكان وهو أول منزل من النباج للقاصد إلى البصرة والسمينة أيضاً ماء لبني الهجيم .
(١٢) حم : وقع ، تم .
(١٣) قضائيا : أي أجله .

ولمـــا تراءت عند مرو[1] منيّتي ... وخلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا
أقول لأصحـــابي ارفعوني لأنني ... يقرّ بعيني أنْ سهيل[2] بدا ليـــا
أقيما عليَّ اليوم أو بعض ليلـــة ... ولا تعجـــلاني قد تبين ما بيا
وقوما إذا ما استلَّ روحي فهيئا ... ليَ السدر[3] والأكفان ثم ابكيا ليا
وخطا بأطراف الأسنّة[4] مضجعي ... وسدًّا على عينيَّ فضـــل ردائيا
ولا تحسداني بارك الله فيكمـــا ... من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا
خـــذاني فجرّاني ببردي[5] إليكما ... فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا
وقد كنت عَطّافاً[6] إذا الخيل أدبرتْ ... سريعاً إلى الهيجا إلى من دعانيا
وقد كنت محموداً لدى الزاد والقرى ... وعن شتميَ ابن العم والجار وانيا
وقد كنت صبّاراً على القرن[7] في الوغى ... ثقيلاً على الأعداء عضباً[8] لسانيا
وطوراً تراني في ظلال ومجمع ... وطوراً تراني والعتاق[9] ركابيا
وطوراً تراني في رحـــى مستديرة ... تخرّق أطراف الرمـــاح ثيابيا

---

(١) مرو : أشهر مدن خراسان وقد أخرجت من الأعيان وعلماء الدين والأركان ما لم تخرج مدينة مثلهم ، منهم الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك والنسبة إليها مروزي .
(٢) سهيل : نجم في السماء قيل عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ ، وفي المثل إذا طلع سهيل رفع كيل ووضع كيل .
(٣) السدر : جمع سدرة وهي النبقة ضرب من الشجر .
(٤) الأسنة : الرماح .
(٥) البرد : الثوب .
(٦) عطافاً : رد عنان فرسه إلى الأمام ومنعها عن التقهقر .
(٧) القرن : الخصم الشديد .
(٨) عضباً : العضب القاطع .
(٩) العتاق : كرام الخيل .

وقوما على بئر الشبيك[١] فاسمعا بها الوحش والبيض الحسان الروانيا[٢]
بـــانكما خلفتمـــاني بقفرة[٣] تَهيل عليّ الريح فيها السوافيا[٤]
ولا تنسيا عهدي خليليَّ انـــني تَقَطّعُ أوصالي وتَبلى عظاميـــا
فلن تعدم الوالون بيتاً يجنّني[٥] ولن يعدم الميراث مني المواليا[٦]
يقولون لا تبعـــدْ وهم يدفنونني وأين مكان البعد إلاّ مكانيـــا
غداةَ غدٍ يا لهفَ نفسي على غد إذا أدلجوا[٧] عني وخُلفتْ ثاويا
وأصبح ماليَ من طريفٍ[٨] وتالد[٩] لغيري وكان المال بالأمس مـــاليا
فيا ليتَ شعري هل تغيرتِ الرحى رحى الحرب أو أضحت بفلج[١٠] كماهيا
إذا القوم حلّوها جميعاً وأنزلوا لها بقراً حمَّ[١١] العيون سواجيا[١٢]
رعين وقد كان الظلام يجنّهـــا يسفن[١٣] الخزامى[١٤] نورها والأقاحيا[١٥]

---

(١) الشبيك : مكان في بلاد بني مازن .
(٢) الرواني : الفعل رنا أي نظر والرواني جمع رانية التي تنظر .
(٣) القفرة : الخلاء من الأرض لا ماء بها ولا نبات .
(٤) السوافي : الأمطار
(٥) جن : أظلم .
(٦) الموالي : أبناء العم وقد وردت الآية في القرآن الكريم في سورة مريم : وإني خفت الموالي من ورائي .
(٧) أدلج : سار في الليل .
(٨) طريف : الجديد .
(٩) تالد : القديم .
(١٠) بفلج : مكان بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير وكعب ؛ وفلج مدينة قيس بن عيلان ويقال لها فلج الأفلاج .
(١١) حم : وقع .
(١٢) السواجي : الفعل سجا يسجو أي سكن وامرأة ساجية الطرف ساكنته .
(١٣) يسفن : من ساف يسوف أي اشتم .
(١٤) الخزامى : ضرب من الأزاهير ، زهرة أطيب الأزهار نفحة ويتمثل به في الطيب .
(١٥) الأقاحي : ضرب من الأزاهير ، ومفردها اقحوانة نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صفراء وأوراقه مفلجة صغيرة .

وهل ترك العيس [1] المراقيل [2] بالضحى ... تعاليها تعلو المتون [3] القياقيا [4]

إذا عصب الركبان بين عنيزة [5] ... وبولان [6] عاجوا [7] المنقيات [8] المهاريا [9]

ويا ليت شعري هل بكت أم مالك ... كما كنت لو عالوا [10] بنعيك باكيا

إذا مِتّ فاعتادي القبور فسلمي ... على الريم [11] أسقيتِ الغمامَ الغواديا

تري جدثاً قد جرَّتِ الريح فوقه ... غباراً كلونِ القسطلانيّ [12] هابيا [13]

رهينة أحجـــار وترب تضمنت ... قرارتُها [14] مني العظام البواليا [15]

فيا راكبـــاً إمّا عرضتَ فبلغـــا ... بني مالك والريب أنْ لا تلاقيا

وبلغ أخي عمرانَ بردي ومئزري ... وبلغْ عجوزي اليوم أنْ لا تدانيا

وسلمْ على شيخيَّ مني كلاهما ... وبلغْ كثيراً وابن عمي وخاليـــا

وعطل [16] قلوصي في الركاب فإنهـــا ... ستبرد أكباداً وتبكي بواكيـــا

---

(١) العيس : النوق .

(٢) المراقيل : جمع مرقال وهي الناقة المسرعة .

(٣) المتون : جمع متن وهو الظهر .

(٤) القياقي : الغليظة وقيل المنقادة .

(٥) عنيزة : مكان بين البصرة ومكة ؛ وقال ابن الفقيه عنيزة من أودية اليمامة .

(٦) بولان : مكان قريب من النباج في طريق الحاج من البصرة وقيل واد باليمامة .

(٧) عاجوا : عطفوا وأمالوا .

(٨) المنقيات : الخلص المختارة .

(٩) المهاري : جمع مهرية وهي الإبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن تسبق الخيل .

(١٠) عالوا : كفوا ، قاموا .

(١١) الريم : الظبي الخالص البياض .

(١٢) القسطلاني : كثرة الغبار ؛ قوس قزح .

(١٣) الهابي : المنتشر في الجو .

(١٤) قرارتها : جمع قرارة وهي القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر .

(١٥) البوالي : جمع بالية أي مهترأة ومتفتتة .

(١٦) عطل : اترك ورد .

قلب طرفي فوقَ رحلي فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيا [1]
وبالرمل منـــا نسوة لو شهدتني بكين وفدّينَ الطبيب المداويا
فمنهنّ أُم وابنتـــاها وخالتي وباكية أخرى تهيج البواكيـــا
وما كان عهد الرمل مني وأهله ذميماً ولا بالرمل ودعت قاليا [2]

ومن شعر مالك قوله يهجو الحجاج [3] :

فإن تنصفوا يا آل مروان نقترب إليكم وإلاّ فـــاذنوا ببعادِ
فإن لنا عنكم نزاحاً [4] ومزحلاً [5] بعيسٍ إلى ريح الفلاة صوادي [6]
فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا قناةَ زياد [7]
فلولا بنو مروانَ كان ابن يوسف كما كـــان عبداً من عبيد إياد
زمان هو العبـــد المقرّ بذلــــة يراوح صبيان القرى ويغادي [8]

ومما سبق إليه فأُخذ عنه قوله :

العبـــد يُقرع بالعصا والحرّ يكفيه الوعيد

وليس لمالك عقب ، ولا يعدو شعره أمر نفسه .

---

(١) المراعي : الفعل رعى يرعو أي عطف يعطف والمراعي الذي يعطف ويرأم .
(٢) قال : مبغض الفعل قلا أي أبغض .
(٣) الحجاج : هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، أمير بطاش ، وطد دعائم ملك بني أمية وحارب الخوارج أيام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، كان حازماً خطيباً مهاباً .
(٤) نزاح : بعاد الفعل نزح أي بعد .
(٥) مزحل : الموضع يزحل إليه وقد يكون مصدراً ميمياً كقولك ان لي مزحلا أي منتدحاً .
(٦) صوادي : جمع صاد وهو العطشان .
(٧) زياد : هو زياد بن أبي سفيان من دهاة العرب وأمرائهم المشهود لهم بالكفاءة وحسن الإدارة ولاه معاوية بن أبي سفيان العراق فأحسن الإدارة ودانت له عن رهبة وخوف وكان من الخطباء البلغاء .
(٨) في هذا البيت تورية وتشهير بالحجاج من أنه معلم صبيان .

حريث بن عناب

هو حريث بن عناب (بالنون) بن مطير من طيء [١]، شاعر إسلامي بدوي مقل ، من شعراء الدولة الأموية ، غير متصد بالشعر للناس ، في مدح ولا هجاء ، ولا يعدو شعره أمر ما يخصه ، كما ذكر صاحب الأغاني .

وكان حريث يهوى امرأة ، يقال لها حبى بنت الأسود ، ويتحدث إليها ، ثم خطبها ، فوعده أهلها أنْ يزوجوه ، ووعدته أنْ لا تجيب إلى تزويج إلاّ به ، فخطبها رجل من بني ثعل [٢]، وكان موسراً ، فمالت إليه ، وتركت حريثاً ، وقد خيرت بينهما ، فاختارت الثعلي ، فتزوجها ، فطفق حريث يهجو قومها ، وقوم المتزوج بها من بني بحتر [٣] وبني ثعل ، فقال يهجو بني ثعل :

بني ثعلٍ أهل الخنا [٤] ما حديثكم   لكم منطقٌ غاوٍ وللناس منطقُ

كأنكمُ معزى [٥] مواضع حرة [٦]   من العيّ أو طير بخفّان ينعق

---

(١) طيء : قبيلة عظيمة من كهلان ، من القحطانية تنتسب إلى طيء بن أدد بن زيد بن يشجب .

(٢) ثعل : فخذ من معاوية بن الحارث بن عدي بن الحارث من كهلان من القحطانية .

(٣) بحتر : بطن عظيم من طيء من القحطانية ، وهم بنو بحتر بن عتود بن عنين .

(٤) الخنا : الفحش في الكلام .

(٥) معزى : جمع ماعز خلاف الضأن من الغنم أي ذوات الشعر والأذناب القصار منها .

(٦) حرة : الأرض ذات الأحجار النخرة .

ديافية قلف [1] كـأن خطيبهـم سراة الضحى في سلحة [2] يتمطق

ومن شعره في حبى قوله :

هل قلبُكَ اليومَ عن شنباء منصرف [3] وأنت ما عشت مجنونٌ بها كلف [4]
ما تذكر الدهر إلاّ صدعت كبِداً حَرّى [5] عليك وأجرت دمعةً تكف [6]
يدوم ودي لمن دامتْ مودَّتُـه وأصرف الناسَ أحياناً فينصرفوا
يا ويحَ كلّ محب كيف أرحمه لأنني عارفٌ صدقَ الذي يصف
لا تأمَنَنْ بعد حبى خلة [7] أبداً على الخيانة إنَّ الخائن الطرف [8]
كأنها ريشةٌ في أرض بلقعة [9] من حيثما واجهتها الريح تنصرف
ينسي الخليلين طولُ النأي بينهما وتلتقى طرفٌ [10] شتى فتأتلف

ومرَّ حريث بعد ما أسن بنسوة من بني قليع [11] وهو يتوكأ على عصا ، فضحكن منه ، فوقف عليهن ، وأنشأ يقول :

هزئت نساءُ بني قليع أنْ رأت خلق [12] القميص على العصا يتركع [13]

---

(١) قلف : الموضع الخشن ، القشر .
(٢) السلح : التغوط .
(٣) منصرف : متغير ، ناس .
(٤) كلف : ولهان .
(٥) حرى : ملتهبة .
(٦) تكف : تسيل ، تجري .
(٧) خلة : المرأة .
(٨) الطرف : الرجل الكريم .
(٩) بلقعة : الأرض القفر التي لا شيء فيها .
(١٠) طرف : نواح .
(١١) بنو قليع : بطن من تميم من العدنانية .
(١٢) خلق : رث ، بال .
(١٣) يتركع : انحنى كبراً ، كبا ، عثر .

وجعلني هزءاً ولــو يعرفــني لعلمن أني عند ضيمي أروع [1]

وكان حريث أغار على قوم من بني أسد ، فاستاق إبلاً لهم ، فطلبه السلطان ، فهرب من نواحي المدينة وخيبر [2] إلى جبلين في بلاد بني طيء ، يقال لهما مرى والشموس [3] ، حتى عزم عنه قومه ما طلب ، ثم عاود وقال في ذلك :

إذا الدين أودى بالفساد فقلْ له يدعنا وركناً من معد [4] نصادمه
ببيضٍ [5] خفــاف مرهفات قواطع لداود [6] فيهــا أثره وخواتمه
وزرق [7] كستها ريشها مضرحية [8] أثيث خوافي ريشهــا وقوادمه
إذا ما خرجنا خرّت الأكم [9] سُجّداً لعزٍ علا خيرومه [10] وعلاجمه [11]
إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب تحرك يقظــان التراب ونائمه
وتفزع منا الإنسُ والجن كلّها ويشرب مهجور الميــاه وعائمه
سيمنع مرى [12] والشموس أخاهما إذا حكم السلطان حكماً يضاجمه [13]

---

(١) أروع : شهم ذكي .
(٢) خيبر : ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام ، يطلق هذا الاسم على الولاية ، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون .
(٣) الشموس : قال الأصمعي الشموس هضبة معروفة سميت به لأنها صعبة المرتقى .
(٤) معد : بطن عظيم تناسل منه عقب عدنان ومن ولده إياد ونزار وإنمار .
(٥) بيض : السيوف القاطعة .
(٦) داود : نبي الله داود ، ويقال كان يحسن صنعة السيوف .
(٧) زرق : الرماح .
(٨) مضرحية : الصقر .
(٩) الأكم : جمع أكمة وهي التل الصغير من الأرض .
(١٠) خيروم : وسط الصدر ، المكان المرتفع من الأرض .
(١١) علاجم : جمع علجوم وهو موج البحر .
(١٢) مرى : هضبة مرتفعة في بلاد طيء .
(١٣) يضاجم : ورد في شرح المؤلف رحمه الله تعالى يضاجمه يزاحمه ويروى يصاحمه .

كلثوم بن عمرو العتابي

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب ، من ولد عمرو بن كلثوم الشاعر ، أصله من الشام ، من أرض قنسرين[1] ، شاعر مترسل ، بليغ مطبوع ، متصرف في فنون الشعر ، مقدم من شعراء الدولة العباسية .

كان منقطعاً إلى البرامكة[2] ، وصحب طاهر بن الحسين[3] ، وكان يقيم في رأس عين[4] ، وبلغ الرشيد[5] قصيدة قالها فأُعجب بها ، فأمر بإشخاصه من رأس عين ، فوافى الرشيد ، وعليه قميص غليظ ، وفروة وخف ، وعلى كتفه ملحفة جافية ، بغير سراويل ، فلما رفع الخبر بقدومه ، أمر الرشيد بأن يفرش له حجرة ، وتقام له وظيفة ، ففعلوا ، فكانت المائدة ،

---

(١) قنسرين : كورة بالشام منها حلب ، كانت عامرة إلى أن غلبت الروم وقتلت من كان بربضها سنة ٣٥١ للهجرة ، بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص .

(٢) البرامكة : أسرة فارسية ، أصلها من خراسان ، وجدهم برمك ، كان طبيباً ، ومتولياً سدانة البوبهار ببلخ ، وهو البيت الرابع من البيوت المعظمة ، قيل بناه منوجهر ببلخ .

(٣) طاهر بن الحسين : من كبار الوزراء والقواد وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي ، وكان يلقب بذي اليمينين لأنه ولي العراق وخراسان .

(٤) رأس عين : مدينة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر ؛ وفي رأس عين عيون كثيرة .

(٥) الرشيد : هو أمير المؤمنين هرون الرشيد بن المهدي ، بويع له بالخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه الهادي وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، كان محباً للعلم شجاعاً بطلا ، غزا الروم ثماني غزوات وحج تسع حجج توفي وله من العمر سبع وأربعون سنة .

إذا قدمت إليه ، أخذ منها رقاقة[1] وملحاً ، وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فإذا كان وقت النوم ، نام على الأرض ، والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله.

وسأل الرشيد عنه ، فأخبروه بأمره ، فأمر بطرده ، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي[2] وهو في منزله ، فسلم عليه ، وانتسب إليه ، فرحب به ، وقال له ارتفع ، فقال لم آتك للجلوس ، قال فما حاجتك ؟ قال : دابة ابلغ عليها إلى رأس عين ؛ فقال : يا غلام اعط الفرس الفلاني . فقال : لا حاجة لي في ذلك ، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة اتبلغ[3] عليها ، فقال لغلامه ، امض معه ، فابتع له ما يريد ؛ فمضى معه فعدل[4] به العتابي إلى سوق الحمير ، فقال له إنما أمرني أنْ أبتاع لك دابة ، فقال له : انه أرسلك معي ، ولم يرسلني معك ، فإن عملت ما أُريد وإلاّ انصرف ، فمضى معه ، فاشترى حماراً بماية وخمسين درهماً ، وقال : ادفع إليه ثمنه ، فدفع إليه ، وركب الحمار عرياً بمرشحة[5] عليه وبرذعة[6] ، وساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد : فضحتني ، أمثلي يحمل مثلك على هذا ؟ فضحك وقال : ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك ، ومضى إلى رأس عين ؛ وكانت تحته امرأة من باهلة[7] ، فلامته ، وقالت : هذا منصور النمري[8]

---

(١) رقاقة : ضرب من الخبز .

(٢) يحيى بن سعيد العقيلي : من وجهاء بغداد وسراتها ، كان يقصده المنتجعون طمعاً برفده .

(٣) أتبلغ : اكتفي بها .

(٤) عدل : انحرف .

(٥) مرشحة : بكسر الميم ما تحت الميثرة للدابة .

(٦) برذعة : ما يوضع على الدابة دون المرشحة .

(٧) باهلة : قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان ، من العدنانية ، وهم بنو سعد مناة بن مالك بن أعصر كانوا يقطنون اليمامة .

(٨) منصور النمري : شاعر شامي من سكان الجزيرة الفراتية تتلمذ على الشاعر العتابي واختص بمدح الخليفة العباسي هرون الرشيد ، له مدائح جيدة بالرشيد .

(تلميذك وراويتك) قد أخذ الأموال ، فحلّى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت ههنا كما ترى ، فأنشأ يقول :

تلوم على ترك الغنى باهلية ذوى الفقر عنها كل طرف[1] وتالد[2]
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرى مقلدة[3] أعناقها بالقلائد[4]
أسرّكِ أني نلت ما نال جعفر من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وإن أمير المؤمنين أغصّني بغصهما بالمشرفات[5] النوارد
رأيت رفيعات الأمور مشوبةً بمستودعات في بطون الأساود[6]
دعيني تجيني ميتتي مطمئنة ولم أتجشم[7] هول تلك الموارد[8]

وصاحب الأغاني يرى اضطراباً في هذا الخبر ، لأن العتابي ، كان يفد على الرشيد ، وله معه أخبار طويلة .

قال عثمان الوراق : رأيت العتابي ، يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ، أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيت لو كنا في دار ، فيها بقر ، كنت تستحي وتحتشم أنْ تأكل وهي تراك ؟ فقلت : لا ، قال : فاصبر حتّى أُعلمك أنهم بقر ؛ فقام فوعظ وقصّ ودعا ، حتّى كثُر الزحام

(١) طرف : منتهى كل شيء .
(٢) تالد : كل مال قديم .
(٣) مقلدة : لابسة القلادة .
(٤) قلائد : جمع قلادة ، ما جعل في العنق من الحلي .
(٥) المشرفات : جمع مشرف وهو العالي .
(٦) الأساود : جمع أسود وهو من أخبث الحيات .
(٧) تجشم : تكلف .
(٨) الموارد : جمع مورد ، الطريق إلى الماء موضع الورود .

عليه ، ثم قال لهم : روى لنا غير واحد ، انه من بلغ لسانه أرنبة [1] أنفه ، لم يدخل النار ، فما بقي أحد ، إلاّ وأخرج لسانه ، يومىء به نحو أرنبة أنفه ، ويقدره حتى يبلغها أم لا ، فلما تفرقوا ، قال لي العتابي : ألم أخبرك أنهم بقر .

وللعتابي من الكتب ، كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الحيل ، وكتاب الألفاظ ، وتوفي سنة ٢٢٠ .

(١) أرنبة أنفه : مستدق آخر الأنف .

عمارة بن عقيل

هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر المشهور ، ويُكنى أبا عقيل ، شاعر مقدم ، فصيح واسع العلم ، كثير الفضل ، كان يسكن بادية البصرة[1] ويزور الخلفاء في الدولة العباسية ، فيجزلون صلته ، ويمدح قوادهم ، فيحظى بكل فائدة ؛ وكان النحويون بالبصرة ، يأخذون عنه اللغة ، وأخذ عنه أبو العينا محمد بن القاسم[2] ، وأبو العباس المبرد[3] .

قال علي بن سليمان الأخفش[4] : سمعت محمد بن يزيد يقول : ختمت الفصاحة في شعراء المحدثين بعمارة بن عقيل ؛ ويقال انه أشد استواء في شعره من جرير ، لأن جريراً أسقط[5] في شعره وضعف ، وما وجدوا لعمارة سقطة واحدة في شعره .

---

(١) البصرة : مدينة معروفة في العراق ، لعبت دوراً عظيماً في حياة الإسلام العلمية والثقافية ، وكانت مركزاً هاماً الفكر .

(٢) أبو العينا محمد بن القاسم : أديب اشتهر بنوادره ولطائفه ، خبيث اللسان ، كف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره مولده بالأهواز ووفاته في البصرة .

(٣) المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر من بني ثمالة ، ولد بالبصرة ، ثم رحل إلى بغداد ، وانتهى إليه علم العربية بعد الجرمي والمازني ، كان فصيحاً بليغاً، وكتابه الكامل من أجمل الكتب ، ويعد من أمهاتها .

(٤) الأخفش : سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ، عالم باللغة والأدب ، من أهل بلخ ، سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه ، وصنف كتباً ، منها تفسير معاني القرآن ، الاشتقاق ، معاني الشعر ؛ زاد في العروض بحر الخبب ، وتوفي سنة ٢١٥ للهجرة .

(٥) أسقط : أتى بالرديء من الكلام .

وكان هجاء خبيث اللسان ، قال المبرد : كنا عند عمارة بن عقيل ، فقال ألا أعجّبكم ؟ مَرّت بي امرأة متحضرة ، فلما قربت مني ، مرّت وقالت : يا شيخ ألا تعجبك الملاح ؟ فقلت بلى :

وتعجبني الملاح وكل دلٍّ ولكنْ لا أراكِ من الملاح
وكل مليحة كالبدر تبدو إذا سفرت وأنتِ من القباح[1]

ومن شعره قوله يمدح :

تأبى خلائق خالد وفعاله الاّ تجنب كل أمر عائب
فإذا حضرتَ الباب عند غدائه اذن[2] الغداء لنا برغم الحاجب[3]

وقال عمارة : كنت امرءاً ذميماً داهية ، فتزوجت امرأة حسناء رعناء[4] ليكون أولادها في جمالها ودهائي ، فجاءوا في رعونتها وذمامتي[5] . وأنشد عمارة قصيدة له أولها :

حيّ الديار كأنها أسطار بالوحي تدرس صحفَها الأحبار[6]
لعب البلى بجديدها وتنفست عرصاتها[7] الأرياح والأمطار

فقال له أبو حاتم السجستاني[8] : هذا لا يجوز ، إنما هو الأرواح ، فقال :

---

(١) القباح : جمع قبيحة وهي الدميمة .
(٢) اذن : أباح له .
(٣) الحاجب : البواب وقيل خاص ببواب الملك .
(٤) رعناء : حمقاء ، هوجاء .
(٥) ذمامتي : الذمامة القباحة .
(٦) الأحبار : جمع حبر وهو العالم .
(٧) عرصاتها : جمع عرصة وهي الأرض التي لا بناء فيها .
(٨) أبو حاتم السجستاني : لغوي مضطلع ، اشتهر بحفظه الواسع للمفردات .

لقد جذبني إليها طبعي ، فقال له أبو حاتم : قد اعترضه علمي ، فقال : أما تسمع قولهم رياح ؟ فقال له أبو حاتم : هذا خلاف ذلك ، قال : صدقت ورجع .

وقال ابن السكيت [(١)] : لله در عمارة ! ما سمعت هجاء قط أكرم من قوله :

وجموع أسعد إذْ تقضّ رؤوسهم بيضٌ يطير لـوقعهنّ شِرار [(٢)]
حتى إذا عزموا الفرار وأسلموا بيضاً حواضن مـا بهنّ قرار
لحقت حفيظتنا [(٣)] بهنّ ولم نزل دون النساء إذا فزعن نغـار

ووفد عمارة على المتوكل [(٤)] ، فعمل فيه شعراً ، فلم يأت بشيء ، ولم يقارب ، وكان عمارة قد اختل وانقطع في آخر عمره ، فسار إلى إبراهيم ابن سعدان المؤدب وكان قد روى عنه شعره القديم كله ، فقال : أحب أن تخرج إليّ أشعاري كلها ، لأنقل ألفاظها إلى مدح الخليفة ، فقال : لا والله ، أو تقاسمني جائزتك ، فحلف له على ذلك ، فأخرج إليه شعره ، وقلب قصيدة إلى المتوكل ، وأخذ بها عشرة آلاف درهم ، وأعطى إبراهيم بن سعدان نصفها .

---

(١) ابن السكيت : يعقوب بن إسحق ، إمام في اللغة والأدب ، اتصل بالمتوكل العباسي ، فعهد إليه بتأديب أولاده ، وجعله في عداد ندمائه ثم قتله ، من كتبه : إصلاح المنطق والقلب والإبدال ، وسرقات الشعراء ، وغريب القرآن ، توفي سنة ٢٤٤ هـ .

(٢) شرار : ما يتطاير من النار الواحدة شرارة .

(٣) حفيظتنا : الحفيظة الغضب .

(٤) المتوكل : هو جعفر بن محمد ، المتوكل على الله ، بويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق وقتل سنة سبع وأربعين ومايتين هـ ، كان أسمر مليح العينين نحيف الجسم ، أظهر السنة وبطش بالمعتزلة .

ناهض بن ثومة

هو ناهض بن ثومة بن نصيح الكلابي ، شاعر بدوي فارس ، من الشعراء في الدولة العباسية ؛ كان يقدم البصرة ، فيُكتب عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة ، روى عن الرياشي [(١)] ، وأبو سراقة[(٢)] ودماذ[(٣)] ، وغيرهم من رواة البصرة ، وكان جده نصيح شاعراً .

روى صاحب الأغاني بسنده عن الفضل بن العباس الهاشمي ، عن أبيه ، قال : كان ناهض بن ثومة الكلابي ، يفد على جدي قثم ، فيمدحه ويصله جدي ، وكان بدوياً جافياً ، كأنه من الوحش ، وكان طيب الحديث ، فحدثه يوماً ، أنهم انتجعوا ناحية الشام ، فقصد صديقاً له ، من ولد خالد بن يزيد ابن معاوية ، كان ينزل حلب [(٤)] ، فإذا نزل نواحيها ، أتاه فمدحه ، وكان

---

(١) الرياشي : العباس بن الفرج بن علي الرياشي البصري ، لغوي راوية ، عارف بأيام العرب ، ولد بالبصرة وقتل بها سنة ٢٥٧ أيام فتنة صاحب الزنج ؛ له كتاب الخيل ، وكتاب الإبل ، وله ما اختلفت أسماؤه في كلام العرب ، روى عنه المبرد في كتابه الكامل .

(٢) أبو سراقة : كان عارفاً بأيام العرب ، لغوياً راوية ولد بالبصرة ومات بها وقد روى عنه الرياشي .

(٣) دماذ : أحد رواة البصرة المعروفين عرف بسعة روايته ومعرفته بأيام العرب روى عنه الكثيرون ومنهم الرياشي .

(٤) حلب : مدينة كبيرة ، تبعد عن دمشق مقدار ثلاثماية وأربعين كيلومتراً تقريباً ، وهي العاصمة الثانية لسورية بعد دمشق ، وبها قلعة حلب الشهيرة الأثرية .

برأ به ؛ قال : فمررت بقرية ، يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي ، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً [1] ، قد ضم بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير ، مقبلون ومدبرون ، عليهم ثياب ، تحكي الوان الزهر ، فقلت في نفسي هذا أحد العيدين الأضحى[2] أو الفطر [3] ، ثم ثاب إليّ ما عزب من عقلي، فقلت خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر [4] ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى[5] ؟ فبينا أنا واقف متعجب ، أتاني رجل ، فأخذ بيدي ، فأدخلني داراً قوراء [6] ، وأدخلني منها بيتاً قد نجّد وفي وجهه فرش ، مهدت ، وعليها شاب ينال فرع شعره منكبيه ، والناس حوله سماطان [7] فقلت في نفسي هذا الأمير ، الذي حُكي لنا جلوسه على الناس وجلوس الناس بين يديه ، فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، فجذب رجل بيدي ، وقال اجلس ، فإن هذا ليس بأمير ، قلت فما هو ؟ قال : عروس [8] ، فقلت واثكل أماه لربّ عروس رأيته بالبادية أهون عليّ من هن أمه ، فلم أنشب[9] أن دخل رجال يحملون هنات مدورات ، أما ما خفّ منها ، فيحمل حملاً ، وأما ما كبر وثقل فيدحرج، فوضع ذلك أمامنا ، وتحلّق [10] القوم عليه حلقاً ، ثم أتينا بخرق بيض ، فألقيت بين أيدينا ، فظننتها ثياباً ، وهممت أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها

---

(١) خصاص : جمع خص وهو بيت من شجر أو قصب ، سمي خصاً لما فيه من التفاريج الضيقة

(٢) الأضحى : يوم النحر مؤنث ، ويذكر فمن ذكر ذهب إلى اليوم .

(٣) الفطر : العيد الذي يأتي بعد صوم شهر رمضان .

(٤) صفر : شهر بعد المحرم .

(٥) الذي أرى : ذكر الخليل في شرحه ما يلي : الذي رآه ناهض هو احتفال بعرس .

(٦) قوراء : واسعة .

(٧) سماطان : صفان ، والمفرد سماط وهو الصف .

(٨) عروس : الرجل والمرأة ما داما في أعراسهما .

(٩) انشب : لبث .

(١٠) تحلق : جلس حلقة .

قميصاً ، وذلك أني رأيت نسجاً متلاحماً ، لا يبين له سدى [1] ولا لحمة [2] فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً ، وإذا هو فيما زعموا صنف من الخبز لا أعرفه ، ثم أُتينا بطعام كثير بين حلو وحامض وحار وبارد ، فأكثرت منه ، وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخم[3] والبشم [4] ،ثم أُتينا بشراب أحمر في عساس[5] بيض ، فقلت : لا حاجة لي فيه ، فإني أخاف أن يقتلني ، وكان إلى جنبي رجل ناصح لي ، أحسن الله جزاءه ، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس ، فقال : يا أعرابي ، انك قد أكثرت من الطعام ، وان شربت الماء ، همى [6] بطنك؛ فلما ذكر البطن ، تذكرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي ، قالوا : «لا تزال حياً ما كان بطنك شديداً ، فإذا اختلف [7] فأوص [8] » ، فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ، وجعلت أُكثر منه ، فلا أمل شربه ، فتداخلني من ذلك صلف[9] لا أعرفه من نفسي ، وبكاء لا أعرف سببه ، ولا عهد لي بمثله ، واقتدار على أمر أظن معه أني لو أردت معه نيل السقف لبلغته ، ولو ساورت[10] الأسد لقتلته، وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح ، فتحدثني نفسي بهتم [11] أسنانه ، وهشم[12]

---

(١) سدى : ما مد من خيوط الثوب وهو خلاف لحمته .

(٢) لحمة : ما نسج عرضاً وهو خلاف السدى .

(٣) التخم : اكتظاظ البطن من النهم .

(٤) البشم : التخمة .

(٥) عساس : جمع عس وهو القدح الكبير .

(٦) هما : سقط .

(٧) اختلف : صار به إسهال شديد .

(٨) أوصى : عهد بشيء من ماله إلى شخص أو أشخاص بعد الوفاة .

(٩) صلف : كبر ، وغرور .

(١٠) ساور : صاول ، بارز .

(١١) هتم : حطم .

(١٢) هشم : كسر .

أنفه ، وأهم أحياناً أنْ أقول له يا ابن الزانية ، فبينا نحن كذلك ، إذ هجم علينا شياطين أربعة : أحدهم قد علّق في عنقه جعبة[1] فارسية ، مسنجة[2] الطرفين ، دقيقة الوسط ، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً ، وقد ألبست قطعة فرو كأنهم يخافون عليها القر ، ثم بدر الثاني ، فاستخرج من كمه هنة[3] سوداء كفيشلة[4] الحمار ، فوضعها في فيه وضرط ضراطاً ، لم أسمع وبيت الله أعجب منه ، فاستتم بها أمرهم ، ثم حرك أصابعه على أحجرة فيها ، فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ يشبه بالضراط ، ولكنه أتى منها لما حرّك أصابعه بصوت عجيب ، متلائم ، متشاكل بعضه لبعض كأنه علم الله ينطق[5] ؛ ثم بدا الثالث ، كز[6] ، مقيت[7] ، عليه قميص وسخ ، وقد غرق رأسه بالدهن ، ومعه مرآتان ، فجعل يصفق بهما بيديه ، إحداهما على الأخرى ، فخالطت بصوته ما يفعله الرجلان ، ثم بدا رابع عليه قميص مصون ،[8] وسراويل مصون ، وخفّان أخذمان[9] ، لا ساق لواحد منهما ، فجعل يقفز ، كأنه يثب على ظهور العقارب ، ثم التبط[10] على الأرض ، فقلت : معتوه ورب الكعبة ، ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت القوم يحذفونه[11] بالدراهم حذفاً منكراً[12] ثم أرسل النساء إلينا أن امتعونا

---

(١) جعبة : محفظة ، كيس .
(٢) مسنجة : مخططة .
(٣) هنة : شيء .
(٤) فيشلة : رأس كل محوق .
(٥) هنا ، علق المؤلف رحمه الله بقوله : هؤلاء هم المغنون ولم يعرفهم الشاعر لبداوته .
(٦) كز : المنقبض اليابس.
(٧) مقيت : الممقوت .
(٨) مصون : وقاه مما يعيبه .
(٩) اخذمان : مقطوعان .
(١٠) التبط : وثب ، عدا .
(١١) حذف : رمى .
(١٢) هنا علق المؤلف رحمه الله بأنه هو الراقص .

من لهوكم هذا ، فبعثوا بهم إليهن، وجعلنا نسمع الأصوات من بعد ، وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء له ، فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عوداً ، فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها ، وحركها بخشبة في يده، فنطقت ورب الكعبة ، وإذا هي أحسن قينة(١) رأيتها قط ، وغنّى عليها ، فأطربني حتى استخفني من مجلسي ، فجلست بين يديه وقلت : بأبي أنت وأمي ، ما هذه الدابة ؟ فلست أعرفها للأعراب ، وما أراها خلقت إلا قريباً ، فقال : هذا البربط (٢) ؛ فقلت : بأبي أنت وأمي ، فما هذا الخليط الأسفل ؟ قال الزير (٣) ، قلت فالذي يليه ، قال المثنى (٤) قلت فالثالث ، قال المثلث(٥) قلت فالأعلى ، قال البم (٦) ، فقلت : آمنت بالله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً ؛ قال : فضحك اني والله حتى سقط ، وجعل ناهض يعجب من ضحكه ، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ، ويطرف به اخوانه ، فيعيده ويضحكون منه .

ومن شعر ناهض بن ثومة قوله :

يا حبذا عمل الشيطـــان من عمل | إن كان من عمل الشيطان حبيها
لنظرةٌ من سليمى اليوم واحـــدة | أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها

ومن شعره قوله :

ألا يـــا أسلما يـــا أيها الطللان | وهل سالم باقٍ عـــلى الحدثان

---

(١) قينة : المغنية .
(٢) البربط : العود .
(٣) الزير : الدقيق من الأوتار .
(٤) المثنى : ما بعد الأول من أوتار العود .
(٥) المثلث : ما بعد المثنى من الأوتار .
(٦) البم : وتر أعلى من أوتار العود .

أبينــــا لنا حييتما اليوم إننـــا مبينان عن ميل بمــا تسلان[1]

متى العهد من سلمى التي فتّتِ القوى وأسماء إن العهــد منذ زمان

ولا زال ينهلّ الغمـــام عليكما سبيل الربى من وابل ودجان[2]

فإن أنتما بينتما أو أجبتمـــــا فلا زلتما بالنبت ترتــديان

وجر الحرير والفرنـــد[3] عليكما بأذيال رخصات[4] الأكف هجان[5]

نظرت ودوني قيــد رمحين نظرة بعينين أنسانـــاهما[6] غرقـــان

إلى ظعن[7] بالعاقرين كـــأنهـــا قرائن من دوح[8] الكثيب[9] ثمان

لسلمى وأسماء اللتين أكنتـــــا[10] بقلبي كنيني لوعـــة وضمان[11]

عسى يعقب الهجر الطويـــل تدانياً ويا ربَّ هجر معقب بتدان

خليليّ قد أكثرتما اللوم فاربعا[12] كفانيَ ما بي لو تركت كفاني

إذا لم تصل سلمى وأسماء في الصبا بحبليهما حبلي فمن تصــلاني

ومنها قوله :

إذا المرء لم ينهض فيثأر بعمـــه فليس يجلّي العـــار بالهذيان

---

(١) تسلان : مخففة الهمزة وأصلها تسألان .

(٢) دجان : المطر الكثير .

(٣) الفرند : الجوهر .

(٤) رخصات : لينة ، طرية .

(٥) هجان : بيضاء .

(٦) انساناهما : سواد العين .

(٧) ظعن : جمع ظعينة والظعينة الهودج فيه امرأة .

(٨) دوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة .

(٩) الكثيب : التل من الرمل .

(١٠) أكن : أخفى ستر .

(١١) ضمان : عور أو نحوه ، المرض .

(١٢) أربع : انتظر وتحبس .

أبي قيسُ عيلان ، وعمي خندف ذوا البذخ عند الفخر والخطران [1]
إذا ما تجمعنا وسارت حذاءنا ربيعةُ لم يعدل بنا أخوان
أليس نبي الله منا محمد وحمزة [2] والعباس [3] والعمران [4]
ومنا ابن عباس ومنا ابن عمه عليٌ [5] إمام الحق والحسنان [6]
وعثمان [7] والصديق [8] منا وإننا لنعلم إن الحق ما يعدان
ومنا بنو العباس فضلاً فمن لكم هلموه أو لا ينطقن يمان

وقد أنشد ناهض هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة وعنده خال له من الأنصار ، فلما ختمها بهذا البيت ، قال الأنصاري : أخرسنا أخرسه الله .

ومن شعر ناهض قوله :

---

(١) الخطران : العجب .
(٢) حمزة : هو أسد الله حمزة بن عبد المطلب ، عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، استشهد في وقعة أحد .
(٣) العباس : هو عم الرسول (ص) آمن به وأسلم قبل فتح مكة ، وكان حافظاً للحديث وهو جد الخلفاء العباسيين وإليه ينتمون .
(٤) العمران : هما : أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين .
(٥) علي : رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأول الناس إسلاماً بعد السيدة خديجة رضي الله عنها ؛ جمعت خطبه وأقواله في كتاب نهج البلاغة الذي يعد عمدة لكل أديب ، استشهد سنة ٤٠ للهجرة .
(٦) الحسنان : هما الحسن والحسين هما سبطا الرسول (ص) وولدا الإمام علي رابع الخلفاء الراشدين .
(٧) عثمان : هو الخليفة عثمان بن عفان ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، كان ثالث الخلفاء الراشدين في زمنه جمع القرآن ودون .
(٨) الصديق : هو خليفة الرسول (ص) أبو بكر الصديق ، عبد الله بن أبي قحافة ، أول الرجال إسلاماً .

ألم ترَ أن جمع القوم يُخشى وان حريم واحـــدهم مباحُ
وان القدح [1] حين يكون فرداً فيهصر [2] لا يكون له اقتراح
وإنك إنْ قبضت بهــا جميعــاً أبت ما سمت واحدهــا القداح
كذاك تفرق الاخــوان ممـــا يذلهمُ وفي الــذل افتضــاح

(١) القدح : السهم قبل أن ينصل ويراش .
(٢) يهصر : يكسر .

ميسون بنت بحدل الكلبية

هي ميسون بنت بحدل بن أنيف من بني كلب[١] ، كانت من التابعيات ، وهي زوج معاوية بن أبي سفيان ، وام ابنه يزيد . وابن أخيها حسان بن مالك ابن بحدل ، هو الذي شدّ الخلافة لمروان بن الحكم [٢] .

وفي خزانة الأدب ، أنها كانت بدوية ، فضاقت نفسها عند معاوية ، لما تسرّى عليها ، فعذلها على ذلك ، وقال لها : أنت في ملك عظيم ، وما تدرين قدره ، وكنت قبل اليوم في العباءة ، فقالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه أحبّ إليّ من قصر منيف
وبكر [٣] يتبع الأظعان سقباً[٤] أحب إليّ من بغل زفوف [٥]
وكلب ينبح الطراق [٦] عني أحبّ إليّ من قطٍّ ألوف
ولبس عباءة وتقر عيني أحب إليّ من لبس الشفوف[٧]

---

(١) بنو كلب : بطن من بجيلة من أنمار بن أراش من الأزد من القحطانية وهم بنو عمرو بن لؤي .
(٢) مروان بن الحكم : تولى الخلافة بعد أن خلع نفسه معاوية بن يزيد سنة ٦٤ هـ وتوفي سنة ٦٥ ، كان قصيراً أوقص ، يكنى أبا الحكم .
(٣) بكر : البكر بفتح الباء ، الفتي من الإبل ؛ كما ورد في شرح المؤلف .
(٤) سقباً : السقب الذكر من ولد الناقة ؛ كما ورد في شرح المؤلف .
(٥) زفوف : الزفوف من النوق الحسنة المشي السريعة .
(٦) الطراق : جمع طارق الآتي ليلا .
(٧) الشفوف : جمع شف وهو الثوب الرقيق ؛ كما شرحه المؤلف رحمه الله .

وأكل كسيرة[1] في كسر[2] بيتي | أحب إليّ من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج | أحب إليّ من نقر الدفوف
وخرق[3] من بني عمي نحيف | أحب إليّ من علج عنيف[4]
خشونة عيشتي في البدو أشهى | إلى نفسي من العيش الطريف
فما أبغي سوى وطني بديلاً | فحسبي ذاكَ من وطن شريف

فلما سمعها ، قال لها ما رضيت يا ابنة بجدل حتى جعلتني عليفاً ، فالحقي بأهلك ، فطلقها ، وألحقها بأهلها ، وقال لها : كنت فبنت ؛ فقالت : لا والله ما سررنا إذ كنّا ، ولا أسفنا إذ بنّا ؛ ويقال ، إنها كانت حاملاً بيزيد ، فوضعته في البرية ، فمن ثم كان فصيحاً .

وقال الشريف في حماسته ، وروى الكلبي عن عوانة ، قال : لما زُفت ميسون بنت بجدل ، من بادية كلب إلى معاوية ، وهو بريف الشام ، ثقل عليها الغربة والبعد عن قومها ، فسمعها ذات ليلة تقول هذه الأبيات فقال : أنا والله العلج ، وازداد بها عجباً وإليها ميلاً .

---

(١) كسيرة : الكسيرة بالتصغير القطعة من الخبز كما ورد في شرح المؤلف رحمه الله .
(٢) كسر : الكسر بكسر الكاف طرف الخباء من الأرض ، كما ورد في شرح المؤلف رحمه الله .
(٣) خرق : الخرق بكسر الخاء ، الكريم ، كما ورد في شرح المؤلف رحمه الله .
(٤) عنيف : ويروى عليف أي مسمن بالعلف ، كما ورد في شرح المؤلف رحمه الله .

الابيرد الرياحي

هو الأبيرد بن المعذر بن عبد من بني رياح [1] ، وينتهي نسبه إلى زيد مناة ابن تميم ، شاعر فصيح ، بدوي من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية ، وليس بمكثر ، ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم .

كان يهوى امرأة من قومه ، ويجن بها حتى شهر ما بينهما ، فحجبت عنه . وخطبها ، فأبوا أنْ يزوجوها إياه ، ثم خطبها رجل من ولد حاجب بن زرارة فزوجته ، فقال الأبيرد في ذلك :

إذا ما أردتَ الحسن فانظرْ إلى التي   يبغي لقيطٌ قومـــه وتخيرا
لها بشر [2] لو يدرج [3] الذر [4] فوقه   لبانَ مكانُ الذر فيها فأثرا
لعمري لقد أمكنتَ منـــا عدونا   وأقررت للوادي فأحيا وأهجرا [5]

وعن أبي عبيدة ، قال كانت بنو عجل ، قد جاورت بني رياح في سنة أصابت عجلاً ، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم ، يقال له سعد ، ويجالسه ،

---

(١) بنو رياح : بطن من تميم بن أد بن طابخة من العدنانية .
(٢) بشر : الجلد الرقيق .
(٣) يدرج : يمشي .
(٤) الذر : صغار النمل ، الهباء المنبث في الهواء .
(٥) أهجرا : تركه

وكان قصده امرأة سعد هذا ، فمالت إليه ، فومقته (١) ، وكان الأبيرد جميلاً شاباً ظريفاً طريراً(٢) . وكان سعد شيخاً هماً (٣) ، فذهب بها كل مذهب ، حتى ظهر أمرهما ، وتُحدث بهما ، واتهم الأبَيْرِد بها ، فشكاه إلى قومه ، واستعذرهم(٤) منه ، فقالوا له : مالك تتحدث إلى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك ، وهل خلا عربي منه ؟ قالوا : قد قيل فيكما ما لا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها وإياك أنْ تعاودها ، فقال الأبَيْرد : إن سعداً لا خير فيه لزوجته ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال لأني رأيته يأتي فرسه البلقاء ، ولا فضل فيه لامرأته ، فهي تبغضه لفعله ، وهو يتهمها لعجزه عنها ؛ فضحكوا من قوله ، وقالوا له : وما عليك من ذلك دع الرجل وامرأته ، ولا تعاودها ، ولا تجلس إليها ، فقال الأبَيْرد في ذلك :

ألم ترَ أنَّ ابنَ المعذر قد صحا ... وودَّع ما يُلحى عليه عواذله
غدا ذو خلاخيل (٥) عليَّ يلومني ... وما لوم عذال عليه خلاخله (٦)
فدع عنك هذا الحليَّ ان كنت دائماً ... فإني امرؤ لا تزدهيني صلاصله (٧)
إذا خطرت عنس(٨) به شدنية (٩) ... بمطرد(١٠) الارواح ناءٍ مناهله (١١)

---

(١) ومقته : أحبته .
(٢) طريراً : الطرير ذو المنظر والرواء .
(٣) هماً : الهم بكسر الهاء الشيخ الفاني .
(٤) استعذرهم : طلب من الناس العذر .
(٥) خلاخيل : جمع خلخال : حلية تلبسها النساء في أرجلهن .
(٦) خلاخل : جمع خلخال : حلية تلبسها النساء في أرجلهن خلاخيل للأول وخلاخل للباقين .
(٧) صلاصله : صلصل صوت .
(٨) عنس : الناقة الصلبة القوية .
(٩) شدنية : منسوبة إلى موضع في اليمن أو فحل من كرام الإبل .
(١٠) مطرد : متسق .
(١١) مناهل : ج منهل والمنهل المورد وهو الموضع الذي فيه الشرب .

تبيّنَ أقــوامٌ سفاهـــة رأيهـــم ترحل عنهم وهو عفٌّ منازله
لهم مجلس كالدرن[1] يجمع مجلساً لئاماً مساعيــه كثيراً هتامله[2]
تبرأت من سعد وخلة[3] بيننــا فلا هو معطيني ولا أنا سائله
متى تنتج البلقاء[4] يا سعد أم متى تلقح من ذات الرباط حوائله[5]
يُحدّثُ سعد أنَّ زوجتــه زنت ويا سعد ان المرء تزني حلائله
فإن تسم عيناها إليَّ فقد رأت فتى كحسامٍ أخلصته[6] صياقله[7]
فتى قُدّ[8] قد السيف لا متضائلٌ ولا رهل[9] لبّاته[10] وأناصله[11]

وقدم الأبَيْرد الرياحي على حارثة بن بدر ، فقال : اكسني بردين ادخل بهما على الأمير ، يعني عبيد الله بن زياد ، فكساه ثوبين ، فلم يرضهما ، فقال فيه :

أحارث أمسكْ فضل برديك إنما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا
وكنت إذا استمطرت منك سحابة لتمطرني عادت عجاجاً[12] وسافيا[13]

---

(١) الدرن : الأوشاب .
(٢) هتامله : ورد في حاشية المؤلف رحمه الله : المتلمة الكلام الخفي .
(٣) خلة : اسم علم .
(٤) البلقاء : فرس المهجو ، والشاعر يعرض به زاعماً أنه يأتي فرسه البلقاء .
(٥) حوائله : الافراس التي تلد سنة بعد سنة .
(٦) أخلصته : اختاره ، هذبه .
(٧) صياقل : جمع صيقل وهو شحاذ السيوف .
(٨) قد : جعل حسن التقطيع .
(٩) رهل : استرخى : وقيل ورم .
(١٠) لبات : الترقوة : الجيد .
(١١) أناصل : الرأس بجميع ما فيه .
(١٢) عجاجاً : العجاج الغبار ، الدخان .
(١٣) سافياً : السفي التراب المتبدد .

أحارثُ عاودْ شربكَ الخمر انني أرى ابن زياد عنك أصبح لاهيا

ومن جيد شعر الأبيرد القصيدة التي رثى بها أخاه بريداً ، وهي من جيد الشعر ومختار المراثي ، منها قوله :

تطاول ليلي لم أنمه تقلباً كأنّ فراشي حال من دونه الجمرُ

فإن تكن الأيام فرقن بيننا فقد غدرتنا في صحابتنا العذر

وكنت أرى هجراً فراقك ساعة ألا لا بَلِ الموتُ التفرقُ والهجر

أحقاً عباد الله أنْ لست لاقياً بريداً طوال الدهر ما لألأ[1] العفر[2]

فتى هو ما استغنى يخرق[3] في الغنى فإن قلّ مالاً لم يضعْ متْنَه الفقر

وسامي[4] جسيمات الأمور فنالها على العسر حتى أدرك العسرَ اليسر

ترى القوم في اللأواء[5] ينتظرونه إذا ضلّ رأيُ القوم أو حزب[6] الأمر

فليتك كنت الحي في الناس باقياً وكنت أنا الميت الذي غيّبَ القبر

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء[7] قلّ بها القطر

ولما نعى الناعي بريداً تغولت[8] بيَ الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر

عساكر[9] تغشى النفس حتى كأنني أخو سكرة طارت بهامته الخمر

---

(١) لألأ : حرك ذنبه .
(٢) العفر : الظبي .
(٣) يخرق : توسع .
(٤) سامى : طاول .
(٥) اللأواء : الشدة .
(٦) حزب : اشتد .
(٧) الشهباء : الشديدة .
(٨) تغولت : أهلكت ، أضلت .
(٩) عساكر : الكثير من كل شيء .

إلى الله أشكو في بريد مصيبتي ... وبثي وأحزاناً تضمنها الصدر
وقد كنت أستعفي إلهي إذا شكا ... من الأجر لي فيه وان سرني الأجر
سقى جدثاً او أستطيع سقيته ... بأود فروّاه الرواقدُ[1] والقطر
ولا زال يرعى من بلاد ثوى بها ... نبات إذا صاب[2] الربيع بها نضر
حلفت برب الرافعين أكفهم ... ورب الهدايا[3] حيث حل بها النحر[4]
ومجتمع الحجاج حيث توافقت ... رفاق من الآفاق تكبيرها جار[5]
يمين امرىء آلى[6] وليس بكاذب ... وما في يمين قالها صادق وزر
لئن كان أمسى ابن المعذر قد ثوى ... بريد لنعم المرء غيّبه القبر
هو الخلف المعروف والدين والتقى ... ومُسعر[7] حرب لا كهام[8] ولا غمر[9]
فتى الحي والأضياف ان روحتهم ... بليل وزادُ السفر إن أرمل[10] السفر[11]
إذا جارةٌ حلّت لديه وفى بها ... فآبت ولم يهتك لجارته ستر
عفيف عن السوآت ما التبست به ... صليب فما يُلفى لعودته كسر
سلكت سبيل العالمين فما لهم ... وراء الذي لاقيت معدى ولا مضر

---

(١) الرواقد : الراقود الدن .
(٢) صاب : انصب ونزل .
(٣) الهدايا : ما أهدي إلى الحرم من النعم ، وقيل ما ينقل للذبح من النعم إلى الحرم .
(٤) النحر : الذبح .
(٥) جأر : رفع صوته .
(٦) آلى : أقسم .
(٧) مسعر : مشعل .
(٨) كهام : جبان .
(٩) غمر : رعديد .
(١٠) أرمل : نفد الزاد .
(١١) السفر : قوم ذو سفر .

وكل امرىء يوماً سيلقى حمامه ... وإن نائتِ الدعوى وطال به العمر
وأبليت خيراً في الحيـــاة وإنمـــا ... ثوابك عندي اليوم ان ينطق الشعر

وقال يرثيه أيضاً وهي قصيدة طويلة :

إذا ذكرت نفسي بريداً تحاملت[1] ... إليّ ولم أملك لعينيّ مدمعـــا
وذكرنيك الناس حين تحاملـــوا ... عليّ وأضحوا جلد أجرب مولعا
فلا يبعدنّك الله خير أخي امرىء ... فقد كنت طلاّع النجاد سميدعا[2]
وصولاً لذي القربى بعيداً عن الخنا ... إذا ارتادك الجادي[3] من الناس امرعا
أخو ثقة لا ينتحي القوم دونـــه ... إذا القوم حالوا أو رجا الناس مطمعا
ولا يركب الوخباء[4] دون رفيقه ... إذا القوم أزجوهن[5] حسرى وظلعا[6]

(١) تحامل : تكلف على مشقة واعياء .
(٢) سميدع : السيد الكريم .
(٣) الجادي : الزعفران .
(٤) الوخباء : الناقة السريعة .
(٥) أزجى : ساق .
(٦) ظلع : تقول ظلع البعير إذا غمز في مشيه .

أبو نخيلة الحماني

أبو نخيلة ، اسمه لا كنيته ، وله كنيتان أبو الجنيد وأبو العرماس [١] ، وهو ابن عدن بن زائدة من بني حمان بن كعب بن سعد ، وينتهي نسبه إلى زيد مناة بن تميم .

كان عاقاً بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج يطلب الرزق ، فتأدب بالبادية حتى شعر ، وقال رجزاً كثيراً ، وقصيداً صالحاً ، وشهر بهما ، وسار شعره في البدو والحضر ، ورواه الناس ، ثم وفد إلى مسلمة [٢] بن عبد الملك فمدحه ، فلم يزل به حتى أغناه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له ، فأغنوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم ، انقطع إلى بني هاشم ، ولقب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العباس . وهجا بني أمية ، فأكثر ، وكان طامعاً ، فحمله ذلك ، على أنْ قال في المنصور [٣] أرجوزة ، يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى [٤] ، وبعقد العهد

---

(١) ورد في حاشية المؤلف رحمه الله ما يلي : كذا في الأغاني وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة هو يعمر ، وكني أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة .

(٢) مسلمة : هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم من شبان بني مروان المرموقين اختصر وهو في ريعان شبابه .

(٣) المنصور : هو أبو جعفر عبد الله المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦ وتوفي سنة ١٥٨ هـ ، وهو ابن ثلاثة وستين عاماً ، وجميع الخلفاء العباسيين بعده من عقبه .

(٤) عيسى بن موسى : من أمراء بني العباس المرموقين اشتهر بالحزم وقوة البأس ، وكان من أقوى المرشحين لولاية العهد بعد المنصور .

لابنه محمد المهدي[1] ، يقول في تلك الأرجوزة :

ليس ولي عهدنا بالأسعد   عيسى فزحلقها إلى محمد

فوصله المنصور بألفي درهم وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ، ففعل ، فطلبه عيسى ، فهرب منه ، وبعث في طلبه مولى ، فأدركه في طريق خراسان فذبحه وسلخ جلده .

ودخل أبو نخيلة يوماً ، على أبي العباس السفاح [2] ، فسلم واستأذن في الإنشاد ، فقال له أبو العباس : لا حاجة لنا في شعرك ، إنما تنشدنا فضلات بني مروان ، فقال يا أمير المؤمنين :

كنا أناساً نرهب الأملاكا   إذْ ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمنـــاً أباكا   ثم ارتجينا بعـــده أخاكا
ثم ارتجينا بعده إيّاكـــا   وكان ما قلت لمن سواكا
زوراً فقد كَفـّر هذا ذاكا

فضحك أبو العباس ، وأجازه جائزة سنية ، وقال أجل أن التوبة لتكفر ما قبلها ، وقد كفـّر هذا ذاك .

ووقف أبو نخيلة على باب أبي جعفر المنصور ، واستأذن ، فلم يصل ، وجعلت الخراسانية[3] ، تدخل وتخرج ، فتهزأ به ، فيرون شيخاً أعرابياً

---

(١) محمد المهدي : ثالث الخلفاء العباسيين ، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه وتوفي سنة ١٦٩ هـ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وكان محبباً إلى الرعية قصاماً للزنادقة .

(٢) أبو العباس السفاح : أول خلفاء الدولة العباسية ، بويع له بالخلافة سنة ١٣٢ هـ وتوفي سنة ١٣٦ وعمره ٣٣ سنة ومدة خلافته أربع سنوات وثمانية أشهر .

(٣) الخراسانية : نسبة إلى خراسان وهي بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان .

جلفاً ، فيعبثون به ، فقال له رجل عرفه : كيف أنت يا أبا نخيلة ؟ فأنشأ يقول :

أصبحت لا يملك بعضي بعضا   أشكو العروق الآبضات [1] أبضا
كما تشكّى الأزجي[2] الفرضا   كأنما كان شبابي قرضا

فقال له وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة فقال :

أكثر خلق الله من لا يدري   من أيّ خلق الله حين يلقى
وحلة تُنشر ثمّ تُطوى   وطيلسان [3] يُشترى فيُغلى
لعبد عبد أو لمولى مولى   يا ويح بيت المال ماذا يلقى

وفي كتاب الأغاني ، ان أبا نخيلة ، كان نذلاً ، يرضيه القليل ، ويسخطه ، وكان الربيع ينزله عنده ، ويأمر سائساً يتفقد فرسه ، فمدح الربيع بأرجوزة ومدح معه سائسه فقال :

لولا أبو الفضل ولولا فضله   ما اسْطِيعَ بابٌ لا يُسنّى [4] قفله
ومن صلاح راشد اصطبله   نعم الفتى وخير فعل فعله
يسمن منه طرفه وبغله

فضحك الربيع ، وقال : يا أبا نخيلة أترضى أن تقرن بي السائس في مديح ، كأنك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك ؟

ونزل أبو نخيلة بسليمان بن صعصعة ، فأمر غلامه بتعهده ، وكان يغاديه ويراوحه في كل يوم بالخبز واللحم ، فقال أبو نخيلة يمدح الخباز :

---

(١) الآبضات : المشدودات .
(٢) الأزجي : المسرع ؛ أزج : أسرع .
(٣) طيلسان : كساء مدور أخضر لا أسفل له .
(٤) يسنى : يسهل ، ييسر ؛ سناه : سهله يسره .

بـــارك ربّي فيك مـــن خبـــاز   ما زلت إذْ كنت على أوفاز[1]
تنصب باللحم انصباب[2] الباز[3]

وحج أبو نخيلة ومعه جريب[4] من سويق[5]، قد حلاّه بقند[6]، فنزل منزلاً في طريقه، فأتاه أعرابي من بني تميم، وهو يقلب ذلك السويق، واستحيا منه، فعرض عليه، فتناول ما أعطاه، فأتى عليه، ثم قال: زدني، فقال أبو نخيلة:

لمـــا نزلنا منزلاً ممقوتا   نريد أنْ نرحل أو نبيتا
جئت ولم ندر من أين جيتا   إذا سُقيت المزبد السحتيتا[7]
قلت ألا زدني وقد رويتا

فقام الأعرابي وهو يسبه.

وقدم أبو نخيلة على المهاجر بن عبد الله الكلابي، وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجسماً وقامةً، لا يكاد الناظر أحدهما يفرق بينه وبين الآخر، فدخل عليه فأنشده أرجوزة أولها:

يا دار أم مالك ألا اسلمي   على التنائي من مقام وانعمي

---

(١) أوفاز : جمع وفز والوفز العجلة.
(٢) انصباب : انسكاب.
(٣) الباز : ضرب من جوارح الطير.
(٤) جريب : الجريب من الأرض والطعام، مقدار معلوم.
(٥) سويق : الناعم من دقيق الحنطة والشعير.
(٦) القند : العسل من قصب السكر إذا جمد.
(٧) السحتيت : السويق القليل.

فأمر له المهاجر بناقة ، فتركها ومضى مغضباً ، وقال يهجوه :

إن الكلابيَّ اللئيم الأثرما[1] أعطى على مدحيه نابا[2] عرزما[3]

ما جبر العظمَ ولكن تمما

فبلغ ذلك المهاجر ، فبعث فترضاه ، وقام في أمره بما يجب ، ووصله ، فقال له أبو نخيلة : هذه صلة المديح ، فأين صلة الشبه ، فإن التشابه في الناس نسب ، فوصله حتى أرضاه ، فلم يزل يمدحه بعد ذلك ، حتى مات ورثاه بعد وفاته ، فقال :

خليليَّ مالي باليمامة مقعد ولا قرة للعين بعد المهاجر

مضى ما مضى من صالح العيش فاربعا على ابن سبيل مزمع البين عابر

فإن تك في ملحودة[4] يا ابن وائل فقد كنت زين الوفد زين المنابر

وقد كنت لولا سَلّك السيف لم ينم مقيم ولم تأمن سبيل المسافر

لعزَّ على الحين قيس[5] وخندف[6] بمبكى علي والوليد وجابر

هوى قمر من بينهم فكأنما هوى البدر من بين النجوم الزواهر

وتزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتاً ، فغمّه ذلك فطلقها تطليقة ، ثم ندم ، فراجعها ، فبينا هو في بيته يوماً ، إذ سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها ، فحركه ذلك ورقَّ لها ، فقام إليها ، فأخذها وجعل ينزيها[7] ويقول :

(١) الأثرم : من سقطت ثنيته .
(٢) الناب : الناقة .
(٣) العرزم : الشديد ، الأسد .
(٤) ملحودة : اللحد صفة غالبة وقبر ملحود أي ذو لحد .
(٥) قيس : بطن من آل عامر بن صعصعة من العدنانية كانت منازلهم بالبحرين .
(٦) خندف : بطن من العدنانية وهم بنو الياس بن مضر بن نزار بن معد .
(٧) ينزيها : يلاعبها ، يرقصها .

يا بنت من لم يك يهوى بنتـــا ما كنت إلاّ خمســـة أو ستا
حتّى هلكت في الحشى وحتّى فتّت في القلب جوى فانفتّا
لأنت خـــير مـــن غلام أنتـــا يصبح مخموراً ويمسي سبتا [(١)]

ومن شعره قوله يرثي الجنيد بن عبد الرحمن المدي :

لعمري لئن ركب[(٢)] الجنيد تحملتْ إلى الشام من مرو وراحت كتائبه
لقد غادر الركبُ الشآمون خلفهم فتًى غطفانياً تعلل [(٣)] جادبـــه
فتًى كان يسري للعـــدو كأنمـــا عجاج القطا في كل يوم كتائبه
وكان كأن البـــدر تحت لوائـــه إذا راح في جيش وراحت عصائبه

ومن شعره قوله يمدح أبا العباس السفاح :

صادتك يوم الرملتـــين شعفر[(٤)] وقد يصيد القانصَ المزعفر [(٥)]
يـــا صورة حسّنهـــا المصور للريم[(٦)]منها جيدها [(٧)] والمحجر[(٨)]

يقول فيها في مدح السفاح :

حتّى إذا ما الأوصياء عسكروا وقام من تـــبر النبيّ الجوهر

---

(١) سبتا : السبت الغلام العارم الجريء .
(٢) الركب : القافلة ، الجماعة من الناس .
(٣) تعلل : أبدى الحجة وتمسك بها .
(٤) شعفر : اسم امرأة .
(٥) المزعفر : الأسد .
(٦) الريم : الظبي .
(٧) الجيد : العنق .
(٨) المحجر : العين .

ومن بني العبـاس نبع أصفر يُنميه فـرع طيب وعنصر
أقبل بالناس الهوى المشهبر[1] وصاح في الليل نهـار أنور
أنا الذي لو قيل إنّي أشعـر جلّى الضبـابَ الرجز المحبر[2]
لمـا مضت لي أشهر وأشهر قلت لنفسي تزدهي فتصـبر
لا يستخفنك ركـب يصـدر لا منجد[3] يمضي ولا مغور[4]
وخـالفي الأنبـاء فهي المحشر أو يسمع الخليفـة المطهر
مني فـإني كـل جنح أحضر وإن بالأنبار[5] غيثاً يهمـر
والغيث يُرجى والديـار تنضر ما كان إلاّ أنْ أتاها العسكر
حتى زهـاهـا مسجـد ومنبر لم يبق من مروان[6] عين تنظر
لا غـائب ولا أنـاس حضر هيهـات أودى المنعم المعقر[7]
وأمست الأنبـار داراً تعمـر وخرجت من الشام[8] أدور
حمص[9] وباب التين[10] والموقر ودُمرت بعد امتنـاع تدمر[11]

ومنها :

---

(١) المشهبر : الكبير ؛ رجل مشهبر الرأس أي كبيره .
(٢) المحبر : المنضد .
(٣) منجد : المكان المرتفع .
(٤) مغور : الذي دخل الغور .
(٥) الأنبار : مدينة قرب بلخ وهي على الجبل وبها كان مقام السلطان .
(٦) مروان : هم بنو مروان الذين تولوا الخلافة بعد مروان بن الحكم .
(٧) المعقر : الذي يعقر الإبل .
(٨) الشام : حدها من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية ، وأما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم .
(٩) حمص : بلد قديم مشهور بين دمشق وحلب في منتصف الطريق ، يذكر ويؤنث .
(١٠) باب التين : محلة في مدينة حمص .
(١١) تدمر : مدينة قديمة مشهورة في برية الشام كانت تحت حكم الملكة زنوبيا .

وواسط [1] لم يبق إلاّ القرقر   منها وإلاّ الديربان [2] الأخضر

ومنها :

وأين مروان وأين الأشقر   وأين فل لم يفت مخبر
وأينَ عاديكم المجمهر   وعامر وعامر وأعصر [3]

وأخذ عليه قوله في امرأة :

برية لم تأكل المرققا [4]   ولم تذق من البقول الفستقا

سمع بالفستق فظن أنه بقل ؛ وهو القائل :

وإن بقوم سوّدوكَ بحاجة   إلى سيد لو يظفرون بسيد

(١) واسط : عدة مواضع أشهرها واسط كرش وقد بناه الحجاج ، ثم واسط اليمامة وواسط العراق.
(٢) الديربان : لم أعثر في معجم البلدان لياقوت شرحاً لهذا الاسم .
(٣) ورد في تعليق المؤلف رحمه الله ما يلي : يعني عامر بن صعصعة وعامر بن ربيعة وأعصر باهلة وغني .
(٤) المرقق : ضرب من أنواع الرقائق كالخبز .

جرير

هو أبو حَزْرَة ، جرير بن عطية بن الخَطَفى ، من كليب بن يربوع ، وينتهي نسبه إلى زيد مناة بن تميم .

ولد لسبعة أشهر ، ونشأ في البادية أيام معاوية بن أبي سفيان ؛ كان من فحول شعراء الإسلام ، وكان يشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى[1] ، وكان من أحسن الناس تشبيباً وأشدهم هجاء .

قال صاحب الأغاني : جرير والفرزدق[2] والأخطل[3] ، المقدمون على شعراء الإسلام ، الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ، ومختلف في أيهم المتقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم ، إلاّ تعرض لهم ، فافتضح وسقط ، وبقوا يتصاولون[4] ، على أن الأخطل ، إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما ، وقد أسنّ[5] ، ونفذ أكثر عمره ، وهو وإن كان له فضل وتقدم ، فليس نجره[6] من نجار هذين في شيء .

---

(١) الأعشى : هو شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات كان يطلق عليه اسم صناجة الشعراء لأن شعره مطبوع لا تكلف به وهو بين الجاهليين كالشاعر جرير في عصر بني أمية .

(٢) الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة ، شاعر فحل من شعراء الطبقة الأولى في العصر الأموي ، كان عظيم الأثر في اللغة وكان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

(٣) الأخطل : غياث بن غوث بن الصلت ، شاعر مصقول الألفاظ ، حسن الديباجة ، اشتهر في مدح بني أمية ، وهو أحد الشعراء الثلاثة المتفق على أنهم شعر أهل عصرهم .

(٤) يتصاولون : يتواثبون ، يتقارعون .

(٥) أسن : صار متقدماً في السن .

(٦) النجر : الأصل ، المعدن .

وقال محمد بن سلام : سألت بشاراً العقيلي [1] عن الثلاثة ، فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ، ولكن ربيعة ، تعصبت له وأفرطت فيه ، قلت : فجرير والفرزدق ؟ قال : كان جرير يحسن ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، وفضل جريراً عليه .

وقال أبو عبيدة : يحتج من قدم جريراً بأنه كان أكثرهم فنون شعر ، وأسهلهم ألفاظاً ، وأقلهم تكلفاً ، وأرقهم نسيباً ، وكان ديّناً عفيفاً .

وقال أعرابي من بني أسيد : بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح وهجاء ونسيب ، وفي كلها غلب جرير ، قال في الفخر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلّهمُ غضابا

والمديح قوله :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله :

فغضّ الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله :

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثمّ لم يحيين قتلانا

وإلى هذا يذهب أهل البادية .

وقال عطاء بن مصعب ، قلت لأبي مهدي الباهلي ، وكان من علماء العرب كلها ، أيما أشعر أجرير أم الفرزدق ؟ فغضب ، ثم قال : جرير أشعر

(١) بشار العقيلي : شاعر فحل يعده نقدة الشعر زعيم الشعراء المحدثين وكان علماء اللغة يستشهدون بشعره . قتل أيام الخليفة المهدي بتهمة الزندقة .

العرب كلها . ثم قال لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكم بينهم .

وقال عكرمة بن جرير : قلت لأبي ، من أشعر الناس ؟ فقال الجاهلية تريد أم الإسلام ؟ قلت : أخبرني عن الجاهلية . قال : شاعر الجاهلية زهير[1] قلت : فالإسلام ، قال : نبعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل . قال : يجيد صفة الملوك . ويصيب نعت الخمر . قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني فإني بحرت الشعر بحرا .

وقال رجل لجرير : من أشعر الناس ؟ قال له ، قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده ، وجاء به إلى أبيه عطية ، وقد أخذ عنزاً فاعتقلها ، وجعل يمصّ ضرعها ، فصاح به ، اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دميم ، رث الهيئة . وقد سال لبن العنز على لحيته . فقال : أترى هذا ؟ قال نعم . قال : أوتعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبي ، أفتدري لمَ كان يشرب من ضرع العنز ؟ قلت : لا ، قال : مخافة أن يسمع صوت الحلب ، فيطلب منه لبن ، ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبّهم جميعاً .

وقال جرير : ما عشقت قط ، ولو عشقت ، لنسبت نسيباً ، تسمعه العجوز . فتبكي على ما فاتها من شبابها ؛ وسأل بعضهم الفرزدق عن جرير ، فتنفس طويلاً ، وقال : أعن ابن الخطفى تسألني ؟ قاتله الله ، فما أحسن ناجيته[2] ، وأشرد قافيته ، لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها . ولكنهم هروه[3] فوجدوه عند الهراش[4] نابحاً . وعند

---

(١) زهير : هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب المعلقات وهو شيخ المتكلفين يقال انه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر وينقحها في أربعة أشهر ويعرضها على الناس مدة أربعة أشهر ، فكان يطلق على قصائده اسم الحوليات .

(٢) ناجيته : حديثه .

(٣) هر : ضرب بالهراوة .

(٤) الهراش : الخصام .

الجد قادحاً ، ولقد قال بيتاً لأن أكون قلته أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس وهو :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وقال الفرزدق : وقد سمع بيتين لجرير : قاتله الله إذا أخذ هذا المأخذ لا يُقام له .

وسئل الأخطل عن جرير بالكوفة فقال : دعوا جريراً أخزاه الله فإنه كان بلاء على من صب عليه .

وأول شعر قاله جرير في زمن معاوية أبيات منها قوله :

بأيّ سنان تطعن القومَ بعدما نزعت سناناً من قناتك ماضيا

وكان يزيد بن معاوية ، عاتب أباه بتلك الأبيات ، ونسبها إلى نفسه ، لأن جريراً لم يكن شعره شُهر حينئذ ، فلما صارت الخلافة إلى يزيد، قدم جرير عليه ، فاستؤذن له مع الشعراء ، فأمر يزيد ، أن لا يدخل عليه شاعر ، إلاّ من عرف شعره ، فقال جرير : قولوا له أنا القائل ، وذكر الأبيات ، فأمر بإدخاله ، فلما أنشده ، قال يزيد : لقد فارق أبي الدنيا ، وما يحسب إلاّ أني قائلها ، وأمر له بجائزة ، وكسوة .

وقدم جرير على الحكم بن أيوب ، وهو خليفة للحجاج يومئذ ، فمدحه جرير ، واستنطقه الحكم ، فأعجبه ظرفه وشعره ، فكتب إلى الحجاج ، انه قدم عليّ أعرابي شيطان من الشياطين ، فكتب إليه ، ان أبعث به إليّ ، ففعل ، فأكرمه الحجاج ، وكساه جبة صبرية ، فمكث أياماً ، ثم أرسل إليه بعد نومه ، فأتوا به ، ولم يمهلوه حتى يلبس ثيابه ، فلما دخل عليه ، قال ايه يا عدو الله ، علامَ تشتم الناس ، وتظلمهم ؟ فقال : جعلني الله فداء الأمير ، اني ما أظلمهم ولكنهم يظلمونني ، فأنتصر ، ما لي ولابن أم غسان ،

وما لي وللبعيث ، وما لي وللفرزدق، وما لي وللأخطل،وما لي وللتميمي، حتى عدهم واحداً واحداً ، فقال الحجاج: ما أدري ما لك ولهم ؟ قال : أخبر الأمير أعزه الله ؟ وجعل يخبره بما فعلوا به وأنهم اعتدوا عليه ، وما زال الحجاج يسمع منه ما هجوه به ، وما هجاهم به ، حتى طلع الصبح ، فقال : قاتله الله أعرابياً انه لجرو هراش .

وأوفد الحجاج ابنه محمداً إلى عبد الملك بن مروان ، وأوفد إليه جريراً معه، وكان عبد الملك ، لا يأذن لشعراء مضر، لأنهم كانوا زبيرية (١) ، فاستأذن محمد لجرير وأعلم عبد الملك ، ان جريراً لم يكن ممن والى ابن الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه ، فأذن له ، ولما استأذن في الإنشاد ، قال له عبد الملك : وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجاج :

من سدّ مطلع النقاق عليكم   أو من يصول كصولة الحجاج

إن الله لم ينصرني بالحجاج ، وإنما نصر دينه وخليفته ، فشفع إليه محمد ، وأنشد جرير القصيدة التي يقول فيها :

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

فتبسم عبد الملك ، وقال كذلك نحن وما زلنا كذلك .

وكان بين جرير والفرزدق مهاجاة ونقائض،وبينه وبين الأخطل وعمرو ابن لجأ التيمي ، وسراقة بن مرداس والمستنير بن سيرة العنبري ، وراعي الإبل ، والعباس بن يزيد الكندي ، وجفنة الهزاني ، والمراء بن منقذ ، وحكيم بن ميعة ، والأشهب بن ميلة ، والبعيث ، وابن أم غسان ،

(١) زبيرية : نسبة إلى عبد الله بن الزبير أحد الذين انشقوا عن الخلافة الأموية ، بايعه أهل الحجاز بالخلافة . أرسل إليه عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الذي حاربه وقتله .

والدلمس وهبيرة بن الصلت الربعي وعلفة والسرندي من بني الرباب والطهوي وعقبة بن السميع وشحمة الأعور النبهاني وغيرهم .

قال الأصمعي عن جرير ، انه كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً ، فينبذهم وراء ظهره ، ويرمي بهم واحداً واحداً ، ومنهم من كان ينفخه فيرمي به . وثبت له الفرزدق والأخطل .

وقال جرير : والله ما يهجوني الأخطل وحده ، وانه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلهم عربي ، ليس بدون الأخطل . ذلك انه كان إذا أراد هجائي ، جمعهم على شراب ، فيقول هذا بيتاً ، وهذا بيتاً ، وينتحل هو القصيدة بعد أن يتموها .

وكان من هاجى جريراً فغلبه جرير ، أرجح عندهم ممن هاجى شاعراً آخر فغُلب ؛ سمع الراعي الشاعر قول جرير :

وعاوٍ عوى من غير شيء رميته بقافية أسبابها [١] تقطر الدما
خروج بأفواه الرواة كأنها قرى هندواني [٢] إذا هُزَّ صمما [٣]

فقال : والله لو اجتمع الجن والإنس على صاحب هذين البيتين ، ما أغنوا فيه شيئاً ، ثم قال : ويحكم أألام على أن يغلبني مثل هذا ؟ وهجا جرير الراعي بقصيدة منها :

فغضّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فما أفلح الراعي ولا نميري بعدها .

---

(١) أسباب : المراقي ، النواحي .
(٢) هندواني : السيف .
(٣) صمم : مضى على رأيه غير مصغ إلى من يردعه .

وقال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بجزيرة البصرة : ائتياني في لباس آبائكما في الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبة ، وشاور جرير دهاة بني يربوع ، فقالوا له : ما لباس آبائنا إلا الحديد ، فلبس جرير درعاً ، وتقلد سيفاً ، وأخذ رمحاً ، وركب فرساً لعباد بن الحصين . وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع ، وجاء الفرزدق في هيئته ، فقال جرير :

لبست سلاحي والفرزدق لعبـــة عليه وشاحا[1] كُرَّجٍ[2] وخلاخله
أعـــدو مع الخزّ الملاء[3] فإنمـــا جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا ، فوقف جرير في مقبرة بني حصين[4] ، ووقف الفرزدق في المربد[5] ، وكأنّ جريراً كان يومئذ أظفرهما .

ونُعي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله ، وجرير عنده فقال :

مات الفرزدق بعـــدما جدّعتـــه ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك ، أتهجو ميتاً ؟ أما والله لو رثيته ، لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : ان رأى الأمير أن يكتمها عليّ ، فإنها سوأة ، ثم قال من وقته :

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل ولا ذات بعل من نفاس تعلتِ[6]

---

(١) وشاحان : مثنى وشاح والوشاح شبه قلادة ينسج من أديم يرصع بالجوهر .
(٢) كرج : لعبة فارسية .
(٣) الملاء : الريطة ذات لفقين ؛ ثوب يلبس على الفخذين .
(٤) بنو حصين : من قبائل زغبة من بني هلال بن عامر من العدنانية .
(٥) المربد : كل شيء حبست فيه الإبل؛ ومربد البصرة من أشهر محالها وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ، وهو الآن بائن عن البصرة .
(٦) تعلت : خرجت المرأة من نفاسها .

هو الوافد الميمون والرائق الثأى [1] إذا النعل يوماً بالعشيرة زلّت

ثم بكى ، ثم قال : أما والله اني لأعلم اني قليل البقاء بعده . ولقد كان نجمنا واحداً ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلاّ تبعه صاحبه ، فكان كذلك مات بعد سنة .

ومن جيد شعر جرير ، قوله يرثي ابنه سوادة ، ومات بالشام :

قالوا نصيبك من أجر . فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالي
فارقتني حين كفَّ الدهر من بصري وحين صرت كعظم الرمة البالي
إن لا تكن لك بالديرين معولةٌ فرب باكية بالرمل معوال
كأم بوٍّ [2] عجول عند معهده حنت إلى جلد منه وأوصال
حتى إذا عرفت أن لا حياة به ردّت هماهم حرّى الجوف مثكال

وقوله يرثي امرأته :

لولا الحياء لهاجني استعبار [3] ولزرت قبرك والحبيب يُزار
ولهت قلبي إذْ علتني كبرة وذوو التمائم [4] من بنيك صغار
لا يلبث الأحباب أن يتفرقوا ليلٌ يكر عليهمُ ونهار
صلّى الملائكة الذين تخيّروا والطيبون عليك والأبرار

ومن أبيات جرير المقلدة [5] قوله :

---

(١) الثأى : الفتق .
(٢) بو : ولد الناقة الذي يموت ويحشى تبناً ويقرب منها حتى تدر ولا ينقطع لبنها .
(٣) استعبار : استعبر ، بكى .
(٤) التمائم : جمع تميمة وهي عودة تعلق على الصغار مخافة العين .
(٥) جاء في شرح المؤلف رحمه الله ما يلي : البيت المقلد هو المستغني بنفسه ، المشهور الذي يضرب به المثل .

زعم الفرزدق أنْ سيقتـل مربعاً أبشر بطـول سلامـة يا مربع

وقوله :

لا يأمنَنَّ قويٌ نقض مرَّتـه [1] إني أرى الدهر ذا نقض وامرار [2]

وقوله :

أنا البـازي المطـل على نمـير أتيح من السماء لها انصبـابا

وقوله :

وإني لعفّ الفقر مشترك الغنى سريع إذا لم أرض داري انتقاليا

وقوله :

يحـالفهم فقر قـديم وذلـة وبئس الخليطان المذلة والفقر
فصبراً عـلى ذل ربيع بن مالك وكل ذليـل خير عادته الصبر

وقوله :

دعون الهوى ثم ارتمـين قلوبنا بأسهم أعـداء وهنَّ صديقُ
أوانس أمّـا من أردن عنـاءه فعانٍ [3] ومن أطلقن فهو طليق

وقوله :

إن الذين غـدوا بلبك غـادروا وشلاً بعينك مـا يزال معينا
غيّضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت مـن الهوى ولقينا

وقوله :

---

(١) مرته : قوة الخلق وشدته .
(٢) امرار : جمع مرة : طاقة الحبل .
(٣) عان : سجين ، موثق .

يا قيس عيلان إني قد نصبت لكم   بالمنجنيق [1] ولما أرسل الحجرا

وقوله :

ولما التقى الحيّانِ أُلقيتِ العصا   ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقوله :

تريدين أن أرضى وأنت بخيلةٌ   ومن ذا الذي يرضي الأخلاء بالبخلِ
فإنك لا يرضى إذا كان عاتباً   خليلُكِ إلاّ بالمودة والبذل

وقوله :

يا تيم إنَّ بيوتكم تيميّةٌ   قعس [2] العماد [3] قصيرة الأطناب [4]
قوم إذا حضرَ الملوكَ وفودُهم   نُتفت شواربُهم على الأبواب

وقوله :

وكنتَ إذا نزلت بدار قوم   ظعنت بخزية وتركت عارا

وقوله :

أتنسى إذْ تودعنا سليمى   بعود بشامة سُقي البشامُ
بنفسي من تجنبه عزيز   عليَّ ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لا أراه   ويطرقني إذا هجع النيام

وقوله :

---

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة في الحروب قديماً تذكر وتؤنث .
(٢) قعس : قصيرة ، ملتوية والقعس التراب المنتن .
(٣) العماد : ما يسند به الأبنية الرفيعة تذكر وتؤنث .
(٤) الأطناب : حبال يشد بها سرادق البيت .

وابن اللبون[1] إذا ما لُزَّ في قرن[2] لم يستطع صولة البزل[3] المقاعيس[4]

وقوله :

لو كنت حراً يا ابن قين[5] مجاشع شيعت ضيفك فرسخين وميلا

وقوله :

لا يستطيع امتناعاً فقعُ[6] قرقرة[7] بين الطريقين بالبيد الأماليس[8]

وقوله :

لا يستطيع أخو الصبابة أن يرى حجراً أصم ولا يكون حديدا

وقوله :

لو أن عصم[9] عمايتين ويذبل[10] سمعا حديثك أنزلا الأوعالا[11]

ومن جيد شعره قوله :

أسرى بخالدة الخيال ولا أرى شيئاً ألذ من الخيال الطارق
إنّ البلية من تملّ حديثه فانقع فؤادك من حديث الوامق[12]

---

(١) اللبون : الشاة ذات اللبن الغزير .
(٢) قرن : حبل يجمع به البعيران .
(٣) البزل : جمع بازل وهو البعير الذي فطر نابه بدخوله السنة التاسعة .
(٤) المقاعيس : عز أن يضام .
(٥) قين : كان جرير يطلق اسم ابن القين على الفرزدق استخفافاً به .
(٦) فقع : البيضاء الرخوة من الكمأة .
(٧) قرقرة : أرض منخفضة .
(٨) الأماليس : جمع امليس الفلاة ليس بها نبات .
(٩) عصم : الغزلان .
(١٠) يذبل : جبل .
(١١) الأوعال : جمع وعل هو ذكر الأروي ، تيس الجبل .
(١٢) الوامق : المحب .

أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل   مذ بنت قلبي كالجناح الخافق
شوقـــاً إليك ولم تجاز مودتي   ليس المكذب بالحبيب الصادق

وقال يهجو الأخطل :

إن الذي حرم المكارم تغلبـــاً   جعل الخلافـــة والنبوة فينـــا
مضر أبي وأبو الملوك فهل لكـــم   يا خزر[1] تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفـــة   لو شئت ساقكم إليّ قطينـــا

فلما بلغ عبد الملك بن مروان قوله ، قال ما زاد ابن المراغة . على أن جعلني شرطياً له . أما لو قال : (لو شاء ساقكم إليّ قطينا) لسقتهم إليه كما قال .

وجرير أحد أصحاب الملحمات[2] ، ومطلع ملحمته :

حيّ الغـــداة برامـــة الأطلالا   رسماً تقـــادم عهده فأحـــالا

وتوفي جرير سنة ١١٠ للهجرة بعد الفرزدق ببضعة أشهر ودفن في اليمامة[3] حيث قبر الأعشى ، وعمره نيفاً وثمانين ، وكان يخنخن في لفظه . فيخرج الكلام من أنفه أو كأنّ فيها نوناً .

وكان له عشرة من الولد ، ثمانية ذكور . منهم بلال بن جرير . وكان أفضلهم وأشعرهم ، ولبلال عقب ، منهم عمارة بن عقيل بن بلال . ومن ولد جرير نوح وعكرمة ابنا جرير ، وكانا شاعرين .

ولجرير ديوان شعر مطبوع ، وقد جمعت مناقضات جرير والفرزدق بكتاب يعرف بمناقضات جرير والفرزدق ، طبع في لندن .

---

(١) جاء في حاشية الخليل رحمه الله: خزر جمع أخزر وهو الذي في عينيه ضيق وصغر ، وهذا وصف العجم ، فكأنه نسبه إلى العجم وأخرجه عن العرب وهذا عند العرب من النقائض الشنيعة .

(٢) الملحمات : القصائد المطولات .

(٣) اليمامة : معدودة من نجد وقاعدتها حجر وقال أهل السير كانت منازل طسم وجديس اليمامة ، وكانت تدعى جوا وما حولها إلى البحرين .

المصادر

الكامل : للمبرد .

الأغاني : للأصبهاني .

خزانة الأدب : للبغدادي .

حماسة الشجري

حماسة أبي تمام الطائي

حماسة البحتري .

البيان والتبيين : للجاحظ .

الشعر والشعراء : لابن قتيبة .

كتاب الفهرست : لابن النديم .

تاج العروس : لمحمد الزبيدي .

صبح الأعشى : للقلقشندي .

معجم الأدباء : لياقوت الحموي .

بلوغ الأرب : للآلوسي .

محاضرات الراغب الأصبهاني .

بغية الوعاة : للسيوطي .

المزهر : للسيوطي .

الأمالي : للقالي .

الوساطة : للقاضي الجرجاني .

مختاراتُ من شعر الأعراب

اختارها

خليل مردم بك

باب

الادب والحكمة

قال أعرابي :

وإياكَ والأمرَ الذي ان توسّعتْ ... موارِدُهُ[1] ضاقتْ عليك المصادرُ[2]
فما حسنٌ أن يعذِرَ[3] المرء نفسَهُ ... وليس له من سائر الناس عاذر

وقال أعرابي :

ليس قضاءُ الدينْ بالدينْ راحةً ... ولكنه ثقلٌ ممضٌ[4] إلى ثقلِ

وقال أعرابي :

الهمّ ما لم تمضه لسبيله ... داءٌ تضمّنه[5] الضلوعُ عظيمُ
ولربما استيأستُ[6] ثم أقول لا ... إنّ الذي ضمن النجاحَ كريمُ

وقال أعرابي :

---

(١) الموارد : جمع مورد والمورد موضع ورود الماء .
(٢) المصادر : جمع مصدر ، منشأ كل شيء .
(٣) عذر : رفع عنه الذنب .
(٤) ممض : مؤلم ، موجع .
(٥) تضمن : اشتمل .
(٦) استيأس : قطع رجاءه .

ومن يصنع المعروفَ في غير أهله يلاقِ الذي لاقى مجيرُ أم عامرِ [1]
أعدَّ لها لما استجارت ببيته أحاليب [2] ألبان اللقاح [3] الدرائر [4]
وأسمنها حتى إذا ما تمكّنت فرته [5] بأنيابٍ لها وأظافر
فقلْ لذوي المعروف هذا جزاء من يجود بمعروفٍ على غير شاكر

وقال أعرابي :

فلا تكُ حفّاراً بظلفك [6] إنما تصيب سهامُ الغيّ من كان غاويا

وقال أعرابي من بني تميم :

من تصدّى لأخيه بالغنى فهو أخوه
يُكرم المرء . وإنْ أملق [7] أقصاه بنوه
لو رأى الناسُ نبيا سائلاً ما وصلوه
وهمُ لو طمعوا في زاد كلب أكلوه
لا تراني آخر الدهر بتسآلٍ أفوه [8]
إنّ من يسأل سوى الرحمن يكثرْ حارموه
والذي قام بأرزاق الورى طراً سلوه

---

(١) أم عامر : الضبع .
(٢) أحاليب : ما يحلب من الحليب .
(٣) اللقاح : جمع لقحة وهي الناقة الحلوب .
(٤) الدرائر : ذوات الدر .
(٥) فرى : قطع ، شق .
(٦) الظلف : ظفر كل ما اجترّ .
(٧) أملق : افتقر .
(٨) فاه : تكلم .

وعن الناس بفضل الـ له فاغنوا ، واحمدوه
أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليـه ساعةً مجّك فوه
أهنأ المعروفِ مـا لم تبتذلْ [1] فيه الوجوه
إنمـا يصطنع المع روفَ في الناس ذووه

وقال آخر :

طلب المعاش مفرق بين الأحبّة والوطنْ
ومصير أجلاد [2] الرجال إلى الضراعة والوَهن
حتى يُقاد كما يقـا دُ النضو [3] في ثني [4] الرسن [5]
ثمّ المنيـة بعـده فكأنه ما لم يكن

وقال أعرابي :

إذا الرجـال ولدت أولادهـا واضطربت من كـبر أعضادُها
وجعلت أسقـامهـا تعتادُها [6] فهي زروع قد دنا حصادُهـا

وقالت أعرابية :

وإيـاكَ إيـاكَ المزاحَ فـإنّه ليجري عليك الطفل [7] والدنس [8] النذلا

---

(١) ابتذل : امتهن ، وتقول ابتذل الثوب إذا لبسه في أوقات الخدمة والامتهان .
(٢) إجلاد : جمع جلد ، والجلد غشاء جسد الحيوان .
(٣) النضو : البعير المهزول .
(٤) الثني : أحد تضاعيف الشيء .
(٥) الرسن : الحبل وجمعها أرسان .
(٦) اعتاد : زار في المرض .
(٧) الطفل : الصغير من كل شيء .
(٨) الدنس : الوسخ الدرن .

ويُذهب ماء الوجه بعد احتقانه[1] ويورث بعد العزّ صاحبه الذلا

وقال أعرابي :

وزادٍ وضعت الكفَّ فيه تأنساً[2] وما لي لولا أنسة الضيف من أكل
وزادٍ رفعت الكفَّ عنه تكرماً إذا ابتدر القوم القليلَ من الثفل[3]
وزادٍ أكلناه ولم ننتظر بـــه غداً إنَّ بخل المرء من أسوأ الفعل

وقال شبيب بن برصاء وهو شاعر بدوي :

تُبيَّن أدبار[4] الأمور إذا مضت وتُقبل أشباهاً[5] عليك صدورُها
تُرجّي النفوسُ الشيء لا تستطيعه وتخشى من الأشياء ما لا يضيرها
ألا إنما يكفي النفوسَ إذا اتقتْ تقى الله مما حاذرت فيجيرها
ولا خيرَ في العيدان[6] إلاّ صلابها ولا ناهضات[7] الطير إلاّ صقورها

وقال أعرابي :

ألا بكرت تلحى (قتيلةُ) بعدما بدا في سواد الرأس أبيضُ واضحُ[8]
لتدرك بالإمساك[9] والمنع ثروةً من المال أفنتها السنون[10] الجوائح[11]
فقلت لها لا تعذليني فإنما بذكر الندى تبكي عليَّ النوائح

(١) احتقن : احتقن الدم اجتمع في الجوف .
(٢) تأنس : سكن إليه قلبه .
(٣) الثفل : ما سفل من كل شيء .
(٤) أدبار : جمع دبر وهو خلاف القبل من كل شيء .
(٥) أشباه : جمع شبه وهو المثل .
(٦) العيدان جمع عود ، والعود الغض بعد أن يقطع .
(٧) ناهضات : جمع ناهض ، والناهض فرخ القطا .
(٨) واضح : منير ، غير مبهم .
(٩) الامساك : البخل ، قبض اليد .
(١٠) السنون : جمع سنة .
(١١) الجوائح : جمع جائحة ، والجائحة الشدة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة .

وقال بعض الأعراب :

ومن يلك مثلي ذا عيالٍ ومقتراً من المال يطرح[1] نفسه كل مطرح[2]
ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبــة[3] ومبلغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنجح

وقال أعرابي :

سأمنح مالي كلّ من جــاء طالباً وأجعله وقفاً على النفل[4] والفرض[5]
فإمّا كريمٌ صنت بالمــال عرضَه وإمّا لئيمٌ صنت عن لؤمه عرضي

وقال بعض الأعراب :

راع المهيرةَ في الظــلامِ تأوّهي واستنبأت[6] أني فقلت لها صَهِ[7]
غضي وأرعي مقلتيك[8] حمى الكرى للخفض نمتِ وللعــلاء تنبهي
أذر الزلال[9] إذا أراب[10] ورودُه وأبلّ ريقي بالصرى[11] المتسنهِ[12]
إنْ قلّ مالي لم تشني فــاقةٌ وإذا سموت إلى الغنى لم أشرهِ[13]

(١) طرح : رمى ، قذف ، أبعد .
(٢) مطرح : الموضع يطرح إليه الشيء .
(٣) رغيبة : العطاء الكثير .
(٤) النفل : عطية التطوع .
(٥) الفرض: ما أوجبه الله على عباده .
(٦) استنبأ : استخبر .
(٧) صه : اسم فعل أمر بمعنى اسكت وكفى .
(٨) المقلة : العين ، وجمعها مقل ، والمقلة أيضاً شحمة العين تجمع السواد والبياض .
(٩) الزلال : العذب من الماء .
(١٠) أراب : تحير ، شك .
(١١) الصرى : الماء الراكد الذي طال مكثه .
(١٢) المتسنه : الفاسد الذي تغير لونه ورائحته .
(١٣) شره : طمع .

وقال بعض الأعراب :

أُريد أنْ أبقى ويبقى ولـــــدي وأنْ تدومَ قوتي وجَلَدي [1]
مُوفَّراً عليَّ مــا تحوي يــدي وهــذه أمــانيات [2] الفَنَدِ [3]

(١) الجلد : الشدة والقوة .
(٢) أمانيات : جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان .
(٣) الفند : فساد الرأي ، الخرف .

الحماسة والفخر

قال أعرابي من طيء :

وليس أخونا عند شرٍّ نخافه ... ولا عند خيرٍ نرتجيه بواحدِ
إذا قال من للمعضلات [1] أجابه ... عظام اللهى [2] منا طوال السواعد
وللموتُ خيرٌ للفتى من حياته ... إذا لم يطق علياء إلاّ بقائد

وقال بعض العرب :

ألا قالتِ الخنساءُ يوم لقيتها ... كبرت ولم تجزع [3] من الشيب مجزعا
رأت ذا عصا يمشي عليها وشيبة ... تقنّع [4] منها رأسُه ما تقنّعا
فقلت لها لا تهزئي بي فقلّ ما ... يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا [5]
وللقارحُ [6] اليعبوب [7] خير علالة ... من الجذع [8] المجري وأبعد منزعا [9]

وقال أعرابي :

---

(١) المعضلات : جمع معضلة ، والمعضلة المشكلة المستغلقة .
(٢) اللهى : الحلق ؛ العطية .
(٣) جزع : فزع ، خاف .
(٤) تقنع : لبس القناع .
(٥) الصلع : انحسار مقدم شعر الرأس .
(٦) القارح : الذي شق نابه وطلع ؛ الأسد .
(٧) اليعبوب : الفرس الطويل .
(٨) الجذع : ما قبل الثني .
(٩) منزع : الميل إلى الغاية .

غاية مجد رفعت فمن لها نحن حويناها وكنّا أهلها
لو أرسل الريح لجئنا قبلها

وقال أعرابي :

غلام وغى تقحّمها[1] فأبـلى فخان بلاءه الزمنُ الخؤونُ[2]
وكان على الفتى الاقدام فيها وليس عليه ما جنتِ المنون

وقال شبيب بن البرصاء وهو شاعر بدوي :

دعـانيَ حصنٌ للفرار فساءني مواطن أنْ تثني عليَّ فأُشتَما
فقلتُ لحصنٍ نحِّ[3] نفسك إنما يذود[4] الفتى عن حوضه[5] أن يهدَّما
تأخرت استبقي الحياةَ فلم أجدْ لنفسي حياةً مثلَ أنْ أتقدّما
سيكفيك أطراف[6] الأسنة[7] فارسٌ إذا ريع[8] نادى بالجواد وبالحمى
إذا المرء لم يغش المكارهَ أوشكت[9] حبال الهوينا بالفتى أنْ تجذّما

وقال أيضاً :

ولقد وقفت النفس عن حاجاتها والنفسُ حاضرة الشعاع[10] تطلّعُ[11]

---

(١) تقحم : خاض ، رمى بنفسه .
(٢) الخؤون : الغادر .
(٣) نح : أبعد .
(٤) ذاد : دافع .
(٥) الحوض : مجمع الماء ؛ ويطلق على الحمى .
(٦) الأطراف : جمع طرف وهو حرف الشيء ونهايته .
(٧) الأسنة : جمع سنان وهو الرمح .
(٨) راع : خاف .
(٩) أوشك : أسرع .
(١٠) الشعاع : المتفرق .
(١١) تطلع : نظر .

وغرمت في الحب الرفيع غرامةً يعيا بها الحصرُ [1] الشحيح ويظلع [2]
إني فتى حر ، لقدريَ عارف أعطي به وعليه مما أمنع

وقال أيضاً :

ومستنبحٍ [3] يدعو وقد حان دونه من الليل سجفا [4] ظلمةٍ وستورُها
رفعت له ناري فلما اهتدى بها زجرت [5] كلابي أنْ يَهِرَّ [6] عقورها [7]
فبات وقد أسرى من الليل عقبةً [8] بليلةِ صدقٍ غاب عنها شرورها
وقد علم الأضياف أنَّ قِراهمُ شواء [9] المتاليَ [10] عندنا وقديرها [11]
إذا افتخرت سعد بن ذبيان لم تجدْ سوى ما بنينا ما يعدُّ فخورها
وإني لترّاكُ [12] الضغينة قد أرى ثراها من المولى [13] فلا استثيرها [14]
مخافةَ أنْ تجني عليَّ وإنما يهيج كبيراتِ الأمور صغيرها

---

(١) الحصر : البخيل ؛ ضيق الصدر .
(٢) ظلع : عرج .
(٣) المستنبح : الكلب حمل على النباح .
(٤) السجف : الستر وجمعه سجوف .
(٥) زجر : منع ، نهى .
(٦) هر : صوت .
(٧) العقور : الذي يعقر من الحيوان .
(٨) العقبة : الشيء اليسير .
(٩) الشواء : ما شوي من اللحم وغيره .
(١٠) المتالي : الإبل التي لم تنتج .
(١١) القدير : اللحم المطبوخ في القدر .
(١٢) تراك : صيغة مبالغة من الترك .
(١٣) المولى : ابن العم .
(١٤) استثار : أهاج .

إذا قيلتِ العوراء[1] ولّيتُ سمعَها سوايَ ولم أسمع بها ما دبيرها[2]
وحاجةُ نفس قد بلغت وحاجة تركت إذا ما النفس شحَّ ضميرها
حياءً وصبراً في المواطن إنّني حيي[3] لدى أمثال تلك ستيرها[4]
وأحبس في الحق الكريهة إنما يقوم بحق النائبات صبورُها
أحابي بها الحيَّ الذي لا تهمه وأحساب أموات تُعدُّ قبورها
ألم ترَ أنا نور قوم وإنما يبين في الظلماء للناس نورها

وقال بعض الأعراب :

رأيت آذننا[5] يعتام[6] بزّتَنا[7] وليس للحسب الزاكي بمعتام
ولو دُعينا على الأحساب قَدَّمني مجدٌ تليد[8] وجدٌ راجح نام

---

(۱) العوراء : الكلمة النابية .
(۲) الدبير : الخلف ؛ ما أدبرت به المرأة من غزلها حين تفتله .
(۳) الحيي : الخجول .
(٤) ستير : عفيف .
(٥) الآذن : الحاجب .
(٦) يعتام : يخترم .
(۷) البزة : الحلة ، الثوب .
(۸) تليد : قديم .

الوصف

قال أعرابي يصف دعوة [1] :

وسارية [2] لم تسر في الأرض تبتغي محلاً ولم يقطع بها البيدَ [3] قاطعُ [4]
تظلّ وراءَ الليل ، والليل ساقط بأرواقه [5] فيه سميرٌ [6] وهاجع [7]
تفتّحُ أبوابُ السماء لوفدها إذا قرع الأبوابَ منهن قارع
إذا سألتْ لم يردد اللهُ سُؤْلَهَا [8] على أهلها واللهُ راءٍ وسامع
وإني لأرجو اللهَ حتى كأنما أرى بجميل الظن ما اللّه صانع

وقال أعرابي :

ألا يا حمامات اللوى عُدْنَ عودةً فاني إلى أصواتكنّ حزينُ
فعدنَ فلما عدن كدنَ يمتنني وكدت بأسراري لهنّ أبين
دعونَ بأصواتِ الهديل [9] كأنما شربن حُمَيّا [10] أوْ بهن جنون

(١) الدعوة : الابتهال إلى الله جل وعلا ومناداته .
(٢) السارية : السحابة .
(٣) البيد : الأرض القاحلة لا نبات بها .
(٤) القاطع : السالك ، المسافر .
(٥) أرواق : جمع روق ، والروق طائفة من الليل .
(٦) سمير : المسامر .
(٧) هاجع : نائم .
(٨) السؤل : الطلب .
(٩) الهديل : صوت الحمام .
(١٠) الحميا : الخمرة ؛ سورة الشراب .

فلم ترَ عيني مثلهن حمائماً [1] بكين ولم تدمع لهنّ شؤون [2]

وقال أعرابي في صفة النار :

رأيت بحَزنِ (عزةَ) ضوءَ نار تلألأ وهيَ نازحةُ المكانِ
فشبّه صاحباي بها سهيلاً [3] فقلت تأملا ما تنظران
أناراً أُوقدت لتنوراها بدتْ لكما أمِ البرق اليماني
كأنّ النارَ يقطع من سناها [4] بنائق [5] حلّةٍ من أرجوان

وقالت أعرابية في الغيث بعد المحل :

ألمْ ترنا غبّنا [6] ماؤنا زماناً فظلنا نكدُّ [7] البيارا
فلما عدا الماءُ أوطانَه وجفّ الثمادُ [8] فصارت حِرارا [9]
وفتّحتِ الأرضُ أفواهَها عجيجَ الجمالِ وردن الجفارا [10]
وضَجّتْ إلى ربها في السماءِ رؤوسُ العضاه [11] تناجي السرارا [12]

---

(١) الحمائم : جمع حمامة وهي ضرب من الطير .
(٢) الشؤون : مجرى الدمع إلى العين .
(٣) سهيل : نجم معروف .
(٤) السنا : الضوء الساطع .
(٥) بنائق : جمع بنيقة وهي القطعة .
(٦) غب : أتى يوماً وانقطع يوماً آخر .
(٧) كد : اشتغل مع الجهد .
(٨) الثماد : الماء القليل .
(٩) الحرار : جمع حرة وهي أرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار .
(١٠) الجفار : جمع جفر والجفر البئر .
(١١) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك .
(١٢) السرار : آخر ليلة في الشهر .

لبسنـــا لـــذي عطن ليلـةً على الناس أثوابنا والخمـــارا [1]
وقلنـــا أعيروا النـــدى حقّه وعيشوا كرامـــاً وموتوا حرارا [2]
فبينـــا نـــوطن أحشاءنـــا أضاء لنـــا بارقٌ [3] فاستطارا [4]
وأقبـــل يزحفُ زحفَ الكسير سوقَ الرعاء[5] البطاء[6] العشارا [7]
تُغني وتضحـــك حـــافاتُه خلالَ الغمامِ وتبكي مـــرارا
فلمـــا خشينـــا بأنْ لا نجـــاءَ وأنْ لا يكونَ فرارٌ قـــرارا
أشار لـــــه آمـــرٌ خلفَـــــه هَلُمَّ فـــأمَّ إلى مـــا أشارا

وقال بعض الأعراب في البراغيث :

ليل البراغيث أعيـــاني وأنصبني لا باركَ اللهُ في ليل البراغيثِ
كأنهنَّ وجلدي إذْ خلونَ بـــــه قضاةُ سوءٍ أعاثوا [8] في المواريث

قال الأصمعي : أتيت البادية ، فإذا أعرابي قد زرع برّاً له ، فلما قام على سوقه وجاد سنبله ، أتاه رجل جراد ، فجعل الأعرابي ينظر إليه ولا يدري كيف الحيلة فأنشأ يقول :

مَرَّ الجراد على زرعي فقلت له لا تأكلنْ ولا تشغلْ بإفسادِ

---

(١) الخمار : ثوب تغطي المرأة به رأسها .
(٢) حرار : جمع حر .
(٣) البارق : البرق الذي يلمع .
(٤) استطار : تفرق وانتشر .
(٥) الرعاء : جمع راع وهو الذي يحفظ الماشية .
(٦) البطاء : جمع بطيء وهو الذي يتماهل .
(٧) العشار : بالكسر جمع عشراء وهي الناقة التي زال عنها المخاض .
(٨) أعاث : أفسد .

فقام منهم خطيب فوق سنبلة[١] إنّا على سَفر لا بدّ من زاد[٢]

وقال بعض الأعراب يصف المصلوب :

قام ولمّا يستعنْ بساقِهِ ألف مثواه على فراقه
كأنما يضحك في إشراقه

وقال أعرابي يصف الشمس :

مخبأة أمّــا إذا الليــل جنّها[٣] فتخفى وأمّا في النهار فتظهرَ
إذا انشقّ عنها ساطع الفجر وانجلى[٤] دجى[٥] الليل وانجاب[٦] الحجاب المستّر
وأُلبس عرض الأفق لونــاً كأنه على الأفق الغربيّ ثوبٌ معصفر[٧]
عليها دروع[٨] الزعفران يشوبــه شعاع تلالا فهو أبيض أصفر
ترى الظّل يُطوى حين تبدو وتارةً تراه إذا زالتْ عن الأرض يُنشر
فأفنتْ قروناً[٩] وهي في ذاك لم تزلْ تموت وتحيا كل يومٍ وتُنشر

(١) سنبلة : واحدة سنابل القمح .
(٢) الزاد : الطعام الذي يحمله المسافر .
(٣) جن : خبأ ، أخفى .
(٤) انجلى : أسفر .
(٥) دجى : الظلام ، الليل .
(٦) انجاب : انزاح .
(٧) معصفر : لونه ضارب إلى العصفر وهو نبات معروف بصفرته .
(٨) الدروع : جمع درع وهو القميص .
(٩) القرون : جمع قرن والقرن مائة عام .

غزل الاعراب

قال أعرابي :

ألا قاتل اللهُ الحمامةَ غدوةً[1] ... على الغصن ماذا هيّجتْ حين غنّت

تغنّتْ بصوت أعجمي[2] فهاجني[3] ... من الشوق ما كانت ضلوعي أجنّتِ[4]

فلو قطرت عين امرىء من صبابةٍ ... دماً ، قطرتْ عيني دماً فألمّتِ[5]

فما سكنت حتى أويتُ لصوتها ... وقلت ترى هذي الحمامةُ جنت

ولي زفراتٌ لو يدمنَ قتلنني ... بشوقٍ إلى نأي التي قد تولت

إذا قلت هذي زفرة الموت قد مضتْ ... فمن لي بأخرى في غدٍ قد أظلت

فيا مُحيي الموتى أقدني[6] من التي ... بها نهلته[7] نفسي سقاماً وعلّت[8]

لقد بخلت حتى لو انّي سألتها ... قذى[9] العين من سافي[10] التراب لضنت

فقلت ارحلا يا صاحبيَّ فليتني ... أرى كلَّ نفسٍ أُعطيت ما تمنّت

---

(١) غدوة : بكرة .

(٢) أعجمي : الذي لا يفصح ، ولا يبين كلامه .

(٣) يرى الخليل رحمه الله في تعليقاته إن الأصح هاج لي .

(٤) أجن : أخفى .

(٥) ألم : رجع ثانية ، أتى .

(٦) أقاد : تقول أقاد القاتل بالقتيل ، قتله به .

(٧) نهل : شرب أول الشرب .

(٨) عل : شرب شربة ثانية .

(٩) القذى : ما يقع في العين ، وفي الشراب من تبنة أو غيرها .

(١٠) السافي : التراب المذرور .

حلفت لها بالله ما أمُّ واجد إذا ذكرته آخرَ الليل حنّت
وما وجد أعرابية قذفت بها صروف النوى[1] من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماءَ العضاه وطيبَهُ وبردَ الحمى من بطن خبت[2] أرنّت[3]
بأكثرَ مني لوعةً غير أنني أجمجم[4] أحشائي على ما أجنّت[5]

وقال أعرابي :

لقد زاد الهلالَ إليّ حُبّاً عيونٌ تلتقي عند الهلالِ

وقال بعض الأعراب :

إذا وجدتُ أُوارَ[6] الحب في كبدي أقبلتُ نحو سقاء[7] الحي أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحرٍّ على الأحشاء يتقد

وقال أعرابي :

خليليَّ شدا بالعمامة واحزما على كبد قد بان صدعاً عمودُها[8]
خليليَّ هل ليلى مؤديةٌ دمي إذا قتلتني أوْ أمير يقودها[9]
وكيف تقاد النفس بالنفس لم تقلْ قتلت ولم يشهد عليها شهودها

---

(١) الصروف : جمع صرف وهو النائبة .
(٢) بطن خبت : موضع معروف بالبادية ورد كثيراً ذكره في شعر الاعراب .
(٣) أرن : أعول .
(٤) جمجم : إذا لم يبن في كلامه .
(٥) أجن : أخفى ، ستر .
(٦) أوار : العطش الشديد ، حر النار .
(٧) السقاء : وعاء من الجلد للماء ؛ الساقي .
(٨) العمود : ما يقوم عليه البيت جمعه عمد .
(٩) قاد : قتل القاتل .

ولي نظرةٌ بعد الصدود من النوى كنظرة ثكلى[١] قد أصيب وحيدها
فلو أنَّ مـا أبقيتَ مني معلّقٌ بعود ثمامٍ[٢] ما تأود[٣] عودها

وقال أعرابي :

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان[٤] مؤتلفانِ
إذا أمّنا التفّا بجيدي تواصـل وطرفاهمـا للريبِ مسترقانِ
أرغتهما[٥] ختلاً[٦] فلم استطعمها ورمياً ففـاتاني وقـد قتلاني

وقال بعض الأعراب :

أموثرة الرجال عليَّ ليلى ولم أُوثرْ على ليلى النساءُ

وقال بعض الأعراب :

لا خير في الحب وقفاً لا تحركه عوارض[٧] اليأس أوْ يرتاحه الطمع
لو كان لي صبرها أوْ عندها جزعي لكنت أملك مـا آتي وما أدع
لا أحمل اللوم فيها والغرام بهـا ما حمّلَ اللهُ نفساً فوق ما تسع

وقال بعض الأعراب :

إلى الله أشكو بخلهـا وسماحتي لها عسلٌ مني وتبذل علقمـا[٨]

---

(١) الثكلى : المرأة التي مات وحيدها .
(٢) الثمام : نبت ضعيف ، واحدته ثمامة .
(٣) تأود : انثنى ، انعطف .
(٤) مكحول : من جعل الكحل في عينه .
(٥) أراغ : طلب الصيد .
(٦) الختل : الخداع .
(٧) العوارض : جمع عارض وهو الناب والضرس الذي يليه .
(٨) العلقم : شجر مر ؛ الحنظل .

أفي الله أنْ أمسي ولا تذكريني وعينايَ من ذكراك قد ذرفت[١] دما
أبيت[٢] فما تنفك لي منك حاجـــة رمى الله بالحب الذي كان أظلما

وقال أعرابي :

وحـــديثهـــا كالقطر[٣] يسمعه راعي سنين[٤] تتابعتْ جدبا[٥]
فأصاخ[٦] يرجو أن يكون حيـــا[٧] ويقول من فرح هيـــا رَبّـــا

وقال بعض الأعراب :

إلى الكوكب النَسْر انظري كل ليلة فإني إليــــه بالعشيةِ ناظرُ
عسى يلتقي لحظي ولحظُكِ عنده ونشكو إليه ما تجنّ[٨] الضمائرُ

وقال بعض الأعراب :

أيذهب عمري هكذا لم أنلْ به مجالسَ تشفي قرح[٩] قلبي من الوجدِ
وقالوا تداوى إنّ في الطب راحةً فعللت[١٠] نفسي بالدواء فلم يُجدِ

---

(١) ذرف : سح ، سكب .
(٢) أبيت : تقول بات يفعل كذا ، إذا فعله ليلا .
(٣) القطر : المطر .
(٤) سنون : جمع سنة .
(٥) الجدب : عدم الخصب .
(٦) أصاخ : أرهف سمعه .
(٧) الحيا : المطر .
(٨) أجن : أخفى .
(٩) القرح : الجرح .
(١٠) علل : خادع .

وقال أعرابي :

مُنعمةٌ يحار الطرف فيها ... كأنّ حديثها سكر الشبابِ
من المتصيدات لغير سوء ... يشين إذا مشتْ مشيَ الحباب [1]

وقال أعرابي :

أيا شبه ليلى ما لليلى مريضة ... وأنتَ صحيحٌ إنّ ذا لمحالُ
أقول لظبيٍ مرّ بي وهو راتع [2] ... أأنت أخو ليلى ، فقال : يقال

وقالت فتاة أعرابية من بني سعد بن بكر في غلام يمانٍ :

أيا أخويّ الملزميّ ملامةً ... أعندكما باللهِ من مثل ما بيا
سألتكما باللهِ ألا جعلتما ... مكان الأسى واللوم أنْ تأويا ليا
أيا أُمنا حبُ الهلاليّ قاتلي ... شطون [3] النوى يحتل عرضاً يمانيا
أشمّ كغصن البان [4] جعدٍ [5] مرجل [6] ... شغفت به لو كان شيئاً مدانيا
فإن لم أُوسدْ ساعدي بعد هجعة ... غلاماً هلالياً فشلّتْ بنانيا
ثكلت أبي إنْ كنت ذقت كريقه ... سلافاً ولا ماء الغمامة غاديا

كانت زهراء الأعرابية [7] تحدث إسحق الموصلي [8] وتناشده ، وكانت

---

(١) الحباب : الحية .
(٢) راتع : سارح ؛ تقول خرجنا نرتع أي نلهو .
(٣) شطون : بعيد ، تقول نوى شطون أي بعيدة .
(٤) البان : ضرب من الشجر ، واحدتها بانة .
(٥) جعد : ضد سبط ؛ شعر جعد أي مفتول .
(٦) مرجل : غير شديد الجعود .
(٧) زهراء الأعرابية : فتاة أعرابية اشتهرت بحسن الحديث وقول الشعر ، كان لها صداقة مع المغني إسحق الموصلي .
(٨) إسحق الموصلي : من أشهر مغني العصر العباسي ، لم يسبقه أحد في صنعة الغناء والضرب على العود .

تميل إليه وتكني عنه في عشيرتها بجمل ، فكتبت إليه وقد غابت عنه تقول :

وجدي بجملٍ على أني أجمجمه[1] وجدُ السقيم ببرءٍ بعد ادناف[2]
أوْ وجد ثكلى أصاب الموتُ واحدها أوْ وجد مغترب من بين ألآف

فأجابها إسحق بقوله :

إقر السلامَ على الزهراء إذْ شحطت وقلْ لها قد أذقت القلب ما خافا
أمّا رثيتِ لمن خلّفتِ مكتئباً يذري مدامعه سحاً[3] وتوكافا[4]
فما وجدتُ على إلف أُفارقه وجدي عليكِ وقد فارقت ألآفا

وقالت عشرمة المحاربية :

فما لبس العشاق من حلَل[5] الهوى ولا خلعوا إلاّ الثياب التي أبلي[6]
ولا شربوا كأساً من الحب مُرّةً ولا حلوةً إلاّ شرابهم فضلي
جريت مع العشاق في حلبة[7] الهوى ففتهمُ سبقاً وجئت على رسلي[8]

وقال شبيب بن برصاء وهو شاعر بدوي :

سلا أُم عمرو فيم أضحى أسيرها تفادى الأسارى حوله وهو موثقُ
فلا هو مقتول ففي القتل راحة ولا هو ممنون[9] عليه فمطلق

---

(١) جمجم : أخفى .
(٢) ادناف : جمع دنف السقم .
(٣) السح : التهطال .
(٤) توكاف : شدة هطول المطر .
(٥) الحلل : جمع حلة وهي الثوب .
(٦) يبلي : يفني .
(٧) الحلبة : الميدان .
(٨) على رسل : على مهل .
(٩) ممنون : من عليه أي أنعم .

الرثاء

وقال أعرابي :

ألمْ ترني أبني على الليث[1] بيتـــــه   وأحثو[2] عليه التّرب لا أتخشع
أردّ بقـــايا برده[3] فوق سُنّة   إخـــال بها ضوءاً من البدر يسطع

وقال أعرابي قتل أخوه إبناً له :

أقول للنّفس تأساءً وتعزيـــــةً   إحدى يديَّ أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف مـــن فقد صاحبه   هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وقالت أعرابية تندب إبناً لها :

أبنيَّ غيّبكَ المكـــانُ الملحد[4]   إمّا بعدت فأين من لا يبعد
أنت الذي في كـــل ممسى ليلةٍ   تبلى وحزنك في الحشا يتجدد

وقالت فيه :

لئنْ كنت لهواً للعيون وقـــرة   لقد صرت سقماً للقلوب الصحائح[5]
وهوّن حزني أنَّ يومـــك مدركي   وإني غداً من أهل تلك الضرائح[6]

(١) الليث : الأسد ، وهنا اسم ولد الأعرابي .
(٢) حثا : أخذ يهيل التراب .
(٣) البرد : الثوب .
(٤) الملحد : الملجأ .
(٥) الصحائح : جمع صحيح وهو السليم .
(٦) الضرائح : جمع ضريح وهو القبر .

وقال أعرابي يرثي :

لحى اللهُ دهراً شرّهُ قبل خيره تقاضى[1] فلم يحسن إلينا التقاضيا
فتى كان لا يطوي على البخل نفسه إذا استمرّت نفساه في السر خاليا

وقال أعرابي يرثي بنيه :

أسكانَ بطنِ الأرض لو يُقبل الفدا فدينا وأعطيناكمُ ساكنَ الظهر
فيا ليتَ من فيها عليها وليتَ مَنْ عليها ثوى فيها مقيماً إلى الحشر[2]
وقاسمني دهري بنيَّ بشطره فلما تقضّى شطرُه مال في شطر
فصاروا ديوناً[3] للمنايا ولم يكن عليهم لها دين قضوه على عسر
كأنهمُ لم يعرفِ الموتُ غيرهم فثكلٌ[4] على ثكل وقبرٌ على قبر
وقد كنت حيَّ الخوف قبل وفاتهم فلما توفوا مات خوفي من الدهر[5]
فللّه ما أعطى ولله ما حوى وليس لأيام الرزية كالصبر

ومات ابن الأعرابي ، فاشتدَّ حزنه عليه ، وكان الأعرابي يُكنى به ، فقيل له لو صبرت لكان أعظم لثوابك فقال :

بأبي وأمي من عبأت حنوطَهُ[6] بيدي وفارقني بماء شبابهِ

---

(١) تقاضى : حكم .
(٢) الحشر : الجمع ؛ يوم الدينونة .
(٣) الديون : القروض ؛ تقول دنت الرجل أي أقرضته .
(٤) الثكل : فقدان المرأة وحيدها .
(٥) الدهر : الزمان ويجمع على دهور ؛ ويقال : الدهر الأبد .
(٦) الحنوط : ذريرة وقد يحنط به الرجل .

كيف السلوّ[1] وكيف أنسى ذكره وإذا دُعيت فإنمـا أُدعى به

وقال أعرابي يرثي ابنه :

ولما دعوت الصبر بعدك والأسى أجاب الأسى طوعاً ولم يجبِ الصبرُ
فإنْ ينقطع منك الرجـاء فإنّه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

وقال أعرابي يرثي ابنه :

بُنيَّ لئن ضنّت جفونُ بمـائها لقد قرحت[2] مني عليك جفون[3]
دفنت بكفي بعض نفسي فأصبحت وللنفس منهـا دافنٌ ودفين

وتوفي ابن لأعرابي ، فبكى عليه حيناً ، فلما همَّ أنْ يسلو عنه ، توفي له ابن آخر ، فقال في ذلك :

إنْ أفق من حَزَنٍ جاء حَزَنْ ففؤادي ماله اليوم سكنْ[4]
وكمـا تبـلى وجوه في البـلى فكذا يبـلى عليهـن الحَزَنْ

وقال في ذلك :

عيونٌ قـد بكينك موجعـاتٍ أضرَّ بهـا البكاءُ وما بنينا
إذا أنفذنَ[5] دمعـاً بعد دمعٍ يراجعن الشؤون[6] فيستقينـا

وقالت أعرابية ترثي ولدها :

---

(١) السلو : النسيان .
(٢) قرح : جرح .
(٣) الجفون : جمع جفن وهو بشرة العين ، والجفن أيضاً غمد السيف .
(٤) السكن : كل ما سكنت إليه ؛ والسكن أهل الدار .
(٥) نفذ : نضب ، جف .
(٦) الشؤون : مفردها شأن وهو مجرى الدمع من العين .

يا قرحةَ القلبِ والأحشاء والكبد يا ليت أُمكَ لم تحبلْ ولم تلدِ
لما رأيتك قد أُدرجت في كفنٍ مطيباً للمنايا آخر الأبد
أيقنت بعدك أني غير باقيةٍ وكيف يبقى ذراع زال من عضد (١)

وقالت أعرابية ترثي زوجها :

كنا كغصنينِ في جرثومة(٢) بسقا (٣) حيناً على خير ما تنمى(٤) به الشجرُ
حتى إذا قيل قد طالتْ فروعُهما وطاب قنواهما (٥) واستمطر الشجر
أخنى(٦) على واحدي ريب الزمان وما يبقي الزمان على شيء ولا يذر
كنا كأنجم ليل بينها قَمَرٌ يجلو الدجى(٧) فهوى من بينها القمر

وقال الأصمعي : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعي صاحب لي ، فإذا جارية على قبر ، كأنها تمثال وعليها من الحلي والحلل ما لم أرَ مثله ، وهي تبكي بعين غزيرة وصوت شجي ؛ فالتفت إلى صاحبي وقلت له : هل رأيت أعجب من هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبني أراه ، ثم قلت لها : يا هذه ، إني أراك حزينة ، وما عليك زي الحزن فأنشأت تقول :

فإن تسألاني فيمَ حزني فإنني رهينة (٨) هذا القبر يا فتيان

---

(١) العضد : الساعد وهو من المرفق إلى الكتف وفيه أربع لغات .
(٢) الجرثومة : الأصل ؛ تجرثم الشيء اجتمع .
(٣) بسق : طال ، بسق فلان على أصحابه أي علاهم .
(٤) نمى : ارتفع وعلا .
(٥) القنو : الغدق وهو للنخل بمثابة العنقود إلى الكرم .
(٦) أخنى : أتى عليه ، أهله .
(٧) الدجى : شدة الظلمة .
(٨) رهينة : ما يرهن ، جمع رهائن .

أهابك [1] إجلالاً وإن كنت في الثرى مخافةَ يوم أنْ يَسؤك لساني

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بي بالاً ويكثر في الدنيا مواساتي
قد زُرت قبرك في حَلْيي وفي حلل كأنني لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت تعرفـه أن قد تسر به من بعض هيئاتي
فمن رآني رأى عبرى [2] مُولّهة [3] عجيبةَ الزيّ تبكي بين أموات

وقالت أعرابية ترثي ابنها :

ختلته [4] المنون بعـدَ اختيال [5] بين صفين من قنا [6] ونصال [7]
في رداء مـن الصفيح [8] جديد وقميص من الحديـد مذال [9]
كنت أجناك لاعتداء يـد الدهـر ولم تخطرِ المنونُ ببـال

وقفت أعرابية على قبر ابن لها ، يقال له عامر فقالت :

وقفت أبكيه على قبره من لي مِنْ بعدك يا عامرُ
تركتني في الدار ذا وحشة قد ذلَّ من ليس له ناصر

---

(١) أهاب : خاف ، حذر .
(٢) عبرى : باكية .
(٣) مولهة : متدلهة .
(٤) ختل : خدع .
(٥) الاختيال : الازدهار .
(٦) القنا : الرمح .
(٧) النصال : جمع نصل وهو السهم .
(٨) الصفيح : وجه كل شيء .
(٩) مذال : متحول ، متحرك .

وقالت فيه :

هو الصبر والتسليم للهِ والرضا إذا نزلت بي خطة[1] لا أشاؤها[2]
إذا نحن أبنا[3] سالمين بأنفس كرام رجت أمراً يخاف رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها تؤوب ويبقى ماؤها وحياؤها
ولا بر إلاّ دون ما برَّ عامرٌ ولكنَّ نفساً لا يدوم بقاؤها
هو ابنيَ أمسى أجره ثمّ عزّني[4] على نفسه ربٌّ إليه ولاؤها
فإنْ احتسبْ أوجرْ وإنْ أبكه أكنْ كباكيةٍ لم يحيِ ميتاً بكاؤها

وقيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسنَ عزاءكِ ؛ قالت : إنَّ فقدي إياه ، آمنني كل فقد سواه ؛ وأنَّ مصيبتي به هونت عليَّ المصايب بعده ، ثم أنشأت تقول :

من شاء بعدك فليمتْ فعليك كنت أُحاذرُ
كنت السواد[5] لناظري[6] فعمى عليك الناظر
ليت المنازل والديا رَ حفائر[7] ومقابر
إني وغيري لا محا لةَ حيث صرت لصائر

وخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً إلى بقيع الفرقد[8] ، فإذا

---

(١) الخطة : المصيبة .
(٢) أشاء : أريد .
(٣) آب : رجع .
(٤) عز : غلب .
(٥) السواد : حبة العين .
(٦) الناظر : العين .
(٧) الحفائر : جمع حفيرة وهي القبر .
(٨) بقيع الفرقد : مقبرة في المدينة المنورة .

أعرابي بين يديه ، فقال يا أعرابي ! ما أدخلك دار الحق ؟ قال : وديعة لي ههنا منذ ثلاث سنين ، قال : وما وديعتك ؟ قال : ابن لي ، حين ترعرع فقدته ، فأنا أندبه ، قال عمر : أسمعني ما قلت فيه ، قال :

يا غائباً ما يؤوب من سَفره ... عاجله موتُهُ على صِغَرِهْ
يا قرةَ العينِ كنت لي سكناً[1] ... في طول ليلي ، نَعَمْ وفي قصرهْ
شربتَ كأساً ، أبوك شاربها ... لا بدَّ يوماً له على كبره
يشربها والأنام كلّهُمُ ... من كان في بدوه[2] وفي حضره[3]
فالحمد للهِ لا شريكَ له ... الموت في حكمه وفي قدره
قد قسم الموت في الأنامِ فما ... يقدر خَلْقٌ يزيد في عمره

فقال عمر صدقت يا أعرابي ، غير أنَّ الله خير لك .

خرج أعرابي هارباً من الطاعون ، فبينا هو سائر ، إذ لدغته أفعى ، فمات ، فقال أبوه يرثيه :

طاف يبغي نجوةً[4] ... مِنْ هَلاكٍ فهلكْ
ليت شعري ضلّة ... أيّ شيءٍ قتلكْ
أمريضٌ لمْ تُعدْ[5] ... أمْ عدوٌّ ختلك[6]

---

(١) السكن : الحبيب .
(٢) البدو : سكان الصحراء .
(٣) الحضر : سكان المدن .
(٤) النجوة : النجاة .
(٥) عاد : عاد المريض زاره .
(٦) ختل : خدع .

أمْ تولّى بك مـــا غال في الدهر ، السّلك[١]
والمنــــايا رصد[٢] للفتى حيث سلك
أيّ شيءٍ حَسَنٌ لفتىً لم يكُ لك
كلّ شيءٍ قــاتلٌ حين تلقى أجلك
طالمـــا قد نلتَ في غير كــد أملك
إنّ أمراً فادحاً[٣] عــن جوابي شغلك
سأعزي النّفس إذْ لم تجب من سألك
ليت قلـــبي ساعةً صبره عنـــك ملك
ليتَ نفسي قُـــدّمتْ للمنــــايـــا بدلك

روى الأصمعي عن رجل من الأعراب ، قال كنا عشرة أُخوة ، وكان لنا أخ يقال له حسن ، فنعي إلى أبينا ، فبقي سنين يبكي عليه حتى كُفَّ بصره ، وقال فيه :

أفلحتُ إنْ كان لمْ يمت حَسَنُ وكفَّ عني البكـــاءُ والحزنُ
بل أكذب الله من نعى[٤] حَسَناً ليس لتكذيب قـــولــه ثمنُ
أجول[٥] في الدار لا أراك ، وفي الدا رِ أُناسٌ جوارهم غبن[٦]
بُدلتهم منكَ ، ليت أنّهُـــمُ كانوا وبيني وبينهم عدن[٧]

---

(١) السلك : فرخ القطا والحجل .
(٢) الرصد : : طريق الحراسة .
(٣) الفادح : العظيم .
(٤) نعى : أخبر بموت أحد الناس .
(٥) جال : دار .
(٦) الغبن : الخديعة ؛ الضعف والنسيان .
(٧) عدن : جنان عدن .

قد علموا عندما أُنافرهم[١] ... ما في قتالي صدع[٢] ولا ابن[٣]

قد جربوني فما أُلاومهم[٤] ... ما زال بيني وبينهم إحن[٥]

قد بُريَ الجسم مذ نعيت لنا ... كما برى فرع نبعة[٦] سفن[٧]

فإن تعشْ فالمنى حياتك والخلـ ... ـد وأنت الحديث والوسن

إنْ تحيَ نحيَ بخير عيش وإنْ ... تمض فتلك السبيل والسنن[٨]

بريدك الحمد والسلام معاً ... فكل حي بالموت مرتهن

يا ويح نفسي إنْ كنت في جدث ... دونك فيه التراب والكفن

عليَّ لله إنْ لقيتك من ... قبل الممات الصيام والبدن

أسوقها حافياً مُجلّلةً[٩] ... أدماً[١٠] هجاناً[١١] قد كظها[١٢] السمن

فلا نبالي إذا بقيت لنا ... من مات أو أودى به الزمن

كنت خليلي وكنت خالصتي ... لكل حيّ من أهله سكن

لا خيرَ لي في الحياة بعدك إنْ ... أصبحتَ تحت التراب يا حسن

وقالت أعرابية :

---

(١) نافر : فاخر ، حاكم في النسب .
(٢) الصدع : الشق .
(٣) ابن : العيب ؛ العقدة في العود .
(٤) لاوم : لام أحدهما الآخر .
(٥) الاحن : العداوة .
(٦) النبعة : القوس .
(٧) السفن : حجر ينحت به .
(٨) السنن : الطريقة .
(٩) مجلجلة : مصوتة .
(١٠) الأدم : البشرة ، وصفة للناقة .
(١١) الهجان : الخيار ، الخالص .
(١٢) كظ : امتلأ .

طوى الدهر ما بيني وبين أحبة بهم كنت أعطي ما أشاء وأمنعُ
فلا يحسب الواشون أنَّ قناتنا[1] تلين ولا أنّا من الموت نفزع
ولكنَّ للألاَّف[2] لا بـدَّ لوعة إذا جعلت أقرانها[3] تتقطع

وقال بعض العرب يرثي قومه :

أبعد بني عمرو على دارة النقا يُرَجّى البنون أو تطيب الموارث
أرى الأرض مُذ حلّوا ثرها بسيطة وقد قلبت عنها الجبال المواكث[4]
واستجدب[5] الدار الخصيبة بعدهم وفيها الغوادي[6] والرياض الأثايث[7]
ورثتكمُ الملح الأجاج[8] على الصدى[9] ومن قبل أثرى أو تمتع وارث
أمصغيةٌ أجداثكم فأزيدها منادب[10] فيها للدموع بواعث
وأصدر حاجات عُنيت بحملها فقد يمحق الهم الأنيس المنافث[11]
وما كنت أرضى بالغمامِ لتربكم لوانبعثت عني العروق[12] الغوارث[13]
وإنيَ مذ أمهلت نفسي بعدكم فواقاً[14] لمضعوف الوثيقة[15] ناكث

---

(١) القناة : الرمح .
(٢) الألاف : الاخوان ، الأصحاب .
(٣) الأقران : جمع قرين وهو الصاحب .
(٤) المواكث : جمع ماكث وهو الرزين .
(٥) استجدب : أصابه الجدب أي المحل .
(٦) الغوادي : جمع غادية وهي السحابة .
(٧) الأثايث : الكثير ؛ تقول شعر أثيث أي كثير .
(٨) الأجاج : شديد الملوحة .
(٩) الصدى : العطش .
(١٠) المنادب : المناحات ، البكاء على الميت .
(١١) المنافث : المسر ، نافثه ، كلمه وساره .
(١٢) العروق : جمع عرق ؛ من البدن أوردته .
(١٣) الغوارث : المنتثرة .
(١٤) الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزع .
(١٥) الوثيقة : مؤنث الوثيق ، ما يعتمد به .

وقالت أعرابية :

لقد كنت أخشى لو تمليت خشيتي عليك الليالي مُرَّها وانفتالها[1]
فأما وقد أصبحت في قبضة الردى فشأن المنايا فلتصبْ من بدا لها

وقال شبيب بن البرصاء وهو شاعر بدوي يرثي جماعة من بني عمه :

تخرَّم[2] الدهر إخواني وغادرني كما يغادر ثورَ الطارد الفَأدُ[3]
إني لباقٍ قليلاً ثمّ تابعهم وأوردُ منهلَ القوم الذي وردوا

وقال أعرابي مات ابنه وهو غائب :

يا ليتني كنت فيمنْ كان حاضره إذ ألبسوه ثيابَ الفرقة الجددا
قالوا وهم عُصبٌ يستغفرون له نرجو لك والله والوعد الذي وعدا
قلَّ الغناءُ إذا لاقى الفتى تلفاً قول الأحبة لا يبعدْ وقد بعدا

---

(١) انفتال : انصراف .
(٢) تخرم : أصاب ، استأصل .
(٣) الفأد : السفود وهو سيخ طويل .

المديح

يُروى أن أعرابياً وقف على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فقال إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها . حمدت الله تعالى وشكرتك ، وان لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك فقال له علي : خطّ حاجتك في الأرض ، فإني أرى الضرّ عليك ؛ فكتب الأعرابي على الأرض : إني فقير . فقال علي : يا قنبر : ادفع إليه حلّتي الفلانية ، فلما أخذها ، مَثُل بين يديه فقال :

كسوتني حلةً تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إنّ الثناء ليحيى ذكر صاحبه كالغيث يُحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهدِ الدهر في عرف [1] بدأت به فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال علي : يا قنبر أعطه خمسين ديناراً ؛ أمّا الحلة فلمسألتك ، وأمّا الدنانير فلأدبك .

وحُكي أن مالك بن طوق ، بينا هو ذات يوم جالسٌ في بهو مطل على رحبته ، ومعه جلساؤه ، إذ وفد عليه أعرابي ، فقال : ما أقدمك ؟ قال : الطمع في نائل الأمير ، وحسن الظن به ؛ فقال : هل قدمت أمام رغبتك وسيلة ؟ قال نعم : أربعة أبيات قلتها قبل أن أصل إلى الأمير ، فلما رأيت

---

(١) العرف : العطية .

ما ببابك من العظمة والمهابة استصغرتها . فقال اشتريتها منك بأربعة آلاف درهم ثم انشدنيها ، فإن كانت أحسن ، فقد ربحتا عليك وإلاّ فقد نلت مرادك وربحت علينا .

قال نعم رضيت بذلك أيها الأمير وأنشد :

وما زلت أخشى الدهر حتى تعلقتْ يدايَ بمن لا يتقي الدهرَ صاحبُه
فلما رآني الدهر تحت جناحه رأى مرتقى[1] صعباً منيعاً مطالبه[2]
رآني حيث النجم من رأس باذخ[3] تظل الورى أكنافه[4] وجوانبه
فتىً كسماك[5] الغيث والناس دونه إذا أجدبوا[6] جادت عليهم سحائبه

فتبسم مالك وقال : ربحنا عليك والله ، ما قيمتها إلاّ عشرة آلاف درهم ، فقال : أيها الأمير انّ لي صاحباً شاركته ، وما أظنه يرضى ببيعي . فقال مالك : أظنك حدثت نفسك بالنكث[7] ؛ قال نعم ، لأني وجدت النكث في البيع أهون من خيانة الشريك ، فضحك الأمير وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقال أعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا[8] في البلاد فلم نجـــدْ خلقاً سواك إلى المكارم ينسبُ

---

(١) المرتقى : المكان المرتفع .
(٢) المطالب : جمع مطلب وهو ما يطلب .
(٣) باذخ : شاهق .
(٤) أكناف : جمع كنف وهوالجانب .
(٥) السماك : كوكب نير ،وهما السما كان يقال لأحدهما السماك الرامح وللآخر السماك الأعزل.
(٦) أجدب : شح .
(٧) النكث : الرجوع عن العهد .
(٨) ضرب : سار .

فاصبرْ لعـــادتنـــا التي عودتنـــــا   أوْ لا ، فأرشدنا إلى من نذهب

وقالت امرأة من العرب :

كم نعمةٍ لك أخرست كرمـــاً   صرف[1] الزمان وألسن العسر[2]
ألبستني نعمى خلعت بهــــــا   عني ثيـــاب مـــذلّةِ الفقـــر
مـــاذا أقول لمـــن محاسنـــه   غطّت عـــليَّ مساوىءَ الدهر

(١) الصرف : المصيبة .
(٢) العسر : ضد اليسر .

الهجاء

قال أعرابي يهجو أُمه :

شائلةٌ أصداغهـــــا لا تختمرْ [١] تغـــدو على الضيف بعود منكسرْ
حتى يفرَّ أهلهــــا كل مَفَرْ لو نحرت في بيتها عشر جزر [٢]
لأصبحتْ مـــن لحمهـــن تعتذرْ بحلْف مين وبدمع مُنهمرْ

وأنشد المبرد في الكامل لأعرابي يصف قوماً من طيء بالتساوي في الرداءة :

ولمـــا انْ رأيـــت بني حوين جلوساً ليس بينهمُ جليس [٣]

وقال أعرابي :

كأني ونضوي [٤] عند باب ابن عامر من القَرّ ذئباً قفرة هلعـــان [٥]
أبيت وصِنَّبْر [٦] الشتاء ينوشني [٧] وقد مَسَّ بردٌ ساعـــدي وبناني

(١) اختمر : استتر .
(٢) الجزر : جمع جزور من الإبل خاصة ، يقع على الذكر والأنثى .
(٣) يقول : هم قوم لا ينتجع الناس معروفهم ، فابس فيهم غيرهم ؛ وهذا من أقبح الهجاء نقلا عن تعليقات العلامة خليل مردم بك .
(٤) النضو : المزيل من الإبل وغيرها .
(٥) هلع : خاف .
(٦) صنبر : شدة برد الشتاء .
(٧) ناش : تناول .

فما أضرموا ناراً ولا قدموا قرى ولا اعتذروا من عسرة بلسان

وقال أعرابي :

تبــاهوا برفع الدور حتى كأنها جبال وما تندى[1] بخيرٍ شعابها[2]
فليسوا بفتيان السماحــة والنّدى ولكنّ فتياناً تَسرَّتْ ثيابهــا

وقال أعرابي :

وقد غضبوا حتى إذا ملأ الزبى رأوا أنّ إقراراً على الضيم أروح

وقال أعرابي :

وضيفُ عمروٍ وعمروٌ يسهران معاً عمرو لبطنتــه والضيف للجوع

وقال أعرابي في مذمة النساء :

يا رب صبرني على أمّ اللهَمْ[3] على حرور[4] ذات سلح[5] للقمم
كأنمـــا تقذف في بحــر خضمْ سريعة الشرط نحوس[6] للبرم[7]
قد هرمتني قبــل أيــام الهرم من عالها فهوى حري بالعدمْ
تحشو زوايا بطنها اذا اضطرم لِقماً كأمثال جلاميد[8] الأكم

وقال أعرابي في منزل :

هذا أحقّ منزل بالترك الذئب يعوي والغراب يبكي

---

(١) تندى : تبتل .
(٢) الشعاب : الطريق في الجبل .
(٣) اللهم : المسن من كل شيء .
(٤) الحرور : الريح الحارة بالليل .
(٥) السلح : النجو وغلب على المائع منه .
(٦) النحوس : جمع نحس نقيض السعد .
(٧) البرم : البخيل ، اللئيم .
(٨) الجلاميد : جمع جلمود وهو الصخر .

شذرات من الشعر والنثر
لشعراء الأعراب وفصائحهم



فصل

فيما أثر عن الأعراب من الأدب والحكمة والوصايا والمواعظ

قال أعرابي : إن الدنيا تنطق بغير لسان ، فتخبر عما يكون بما قد كان .

قيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : أنا لحده .

قال العتبي : خرجت ليلة حين انحدرت النجوم ، وشالت أرجلها ، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا أنا بجارية ، كأنها علم ، فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا أمالك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن زاجر من عقل ، قلت والله ما يراني إلاّ الكواكب ، قالت : فأين مكوكبها ؟

وقيل لأعرابي كيف حالك ؟ فقال : ما حال من يفنى ببقائه ، ويسقم بسلامته ، ويؤتى من مأمنه .

وقالت أعرابية لرجل : كبتَ الله كل عدوٍ لك إلاّ نفسك .

وقال أعرابي : إذا كان الرأي عند من لا يُقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور .

وقال أعرابي : لو صُوّر العقل لأظلمت معه الشمس ، ولو صُوّر الحمق لأضاء معه الليل .

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً قد بلغ مئة وعشرين سنة، فقلت له: ما أطول عمرك ، فقال : تركت الحسد فبقيت .

وقال أعرابي : ما عثرت قط حتى يعثروا ، قيل له وكيف ذا ؟ قال : لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم .

وقيل لبعض الأعراب : مَن الأديب العاقل ؟ قال : الفطن المتغافل .

وأوصى أعرابي ابنه فقال : يا بني : لا تغرنك بشاشة امرىء حتى تعلم ما وراءها ، فإن دفائن الناس في صدورهم ، وخدعهم في وجوههم .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : أسرع الناس جواباً من لم يغضب.

وسئل أعرابي عن ابن العم ، فقال : عدوك وعدوّ عدوك .

وسئل أعرابي عن المروءة ، فقال : ان لا يمر بك أحد إلاّ ناله رفدك ، ولا تمرّ بأحد إلاّ رفعت نفسك عن رفده .

أوصى أعرابي آخر فقال : إياك وخرق الغضب ، انه يحوج إلى ذل الاعتذار ، وإنّ أحضر الناس جواباً من لا يغضب .

وقال أعرابي : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق .

وقال بعض الأعراب : خفِ الشر من موضع الخير ، وارج الخير من موضع الشر ، فربَّ حياة سببها طلب الموت ، وموت سببه طلب الحياة ، وأكثر ما يأتي الأمن من ناحية الخوف .

عاتب أعرابي أباه ، فقال : يا أبتِ ! انّ كبير حقك عليّ ، لا يذهب صغير حقي عليك ، والذي تمنّ به إليّ ، أمن به إليك،ولست أزعم أنّا سواء ، ولكن لا يحلّ الاعتداء .

أوصى بعض الأعراب ابنه في التزوج فقال : إياك والحنّانة والمنّانة

والأنّانة ؛ فالحنانة التي تحنّ لزوج كان لها ، والمنانة التي تمن على زوجها بمالها ، والأنانة التي تئن كسلاً وتمارضاً .

وقال أعرابي : والله لولا أنّ المروءة ثقيل محملها ، شديدة مؤونتها ، ما ترك اللئام للكرام منها شيئاً .

وقال أعرابي لابنه : يا بني : إنّ الدنيا تسعى على من يسعى لها ، فالهرب قبل العطب ، فقد آذنتك ببين ، وانطوت لك على حين .

رأى بعضهم أعرابياً مقبلاً إلى مكة ليصوم فيها شهر رمضان ، والحر شديد ، فقال له : أتجمع على نفسك الصوم وحر تهامة ؟ فقال : من الحر أفر .

وقال أعرابي لآخر : يسار النفس خير من يسار المال ، وربّ شبعان من النعم ، غرثان من الكرم .

وقال أعرابي وذكر قوماً زهاداً : فاز قوم أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجارب ، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذي قطع به الناس مسافة آجالهم ، فأحسنوا المقال ، وشفعوه بالفعال ، تركوا النعيم ليتنعموا ، لهم عبرات متدافقة ، لا تراهم إلاّ في وجه عند الله وجيهاً .

وقال أعرابي : من ضاق قلبه ، اتسع لسانه .

وقيل لأعرابي : لم لا تشرب النبيذ ؟ فقال : لا أشرب ما يشرب عقلي .

وقال أعرابي : من خاف الله ، أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء .

وقال أعرابي : الله مخلف ما أتلف الناس ، والدهر متلف ما أخلف الله ، فكم من منيّة علّتها طلب الحياة ، وحياة سببها التعرض للموت .

قال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم الأعرابية ما الوغد ؟ فقالت : الضعيف ، فقلت : انك قلت مرة ، الوغد العبد ، فقالت : ومَنْ أوغد منه ؟

أوصت أعرابية ولدها وقد أراد السفر ، فقالت : أجلس أمنحك وصيتي ، وبالله توفيقك ، فإن الوصية أجدى عليك من كثير من عقلك ، أي بني ! إياك والنميمة ، فإنها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين . وإياك والتعرض للعيوب ، فتتخذ غرضاً ، وخليق أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلما اعتورت السهام غرضاً إلاّ كلمته ، حتى يهيء ما اشتد من قوته . وإياك والجود بدينك ، والبخل بمالك . وإذا هززت فاهزز كريماً يلن لهزتك ، ولا تهزز لئيماً فإن الصخرة لا ينفجر ماؤها ، ومثّل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه . ومن كانت مودته بشره وخالف ذلك منه فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها ، والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها .

وقالت أعرابية توصي ابنتها ليلة البناء بها : أي بنية ! ان الوصية لو تركت لفضل أدب تركتها لذلك منك ، ولكنها تذكرة الغافل ، ومعونة العاقل ، أي بنية ! انك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمة يكن لك عبداً ، واحفظي له خصالاً عشراً :

أما الأولى والثانية : فاصبحيه بالقناعة ، وعاشريه بحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلاّ أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصينَّ له أمراً ، ولا تفشينَّ له سراً ، فإنك إن خالفته أوغرت صدره ، وان أفشيت سره لم تأمني غدره .

ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً ، والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد الناس له إعظاماً ، يكن لك أشدهم إكراماً ، واعلمي انك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أجبتِ وكرهتِ والله يخير لك .

وقال أعرابي ينصح أخاً له : اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برويته ونظره، ومثّل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلط الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ، ليكون خوفك كفاء رجائك ، وشكرك إزاء النعمة عليك ، وان الغاش لك والحاطب عليك ، من مدَّ لك في الاغترار ، ووطأ لك مهاد الظلم ، تابعاً لمرضاتك ، منقاداً لهواك .

وكان أعرابي يجالس الشعبي ، فأطال الصمت ، فسأله عن ذلك ، فقال : أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم .

وقيل لأعرابي ، لم لا تتكلم ؟ فقال : حظ لسان الرجل لغيره ، وحظه سمعه له .

وقال أعرابي : اللهم إني أعوذ بك من الخيانة وسوء البطانة .

وقال أعرابي : صلة الرحم منسأة في العمر ، مرضاة للرب ، محبة في الأهل .

وقيل لأعرابي ، ما تقول في ابن العم ، قال : عدوك وعدوّ عدوك .

وكان لأعرابية ابن تحرضه على الاقامة والاقتصار على الطعم والمشرب فأنشدها :

إذا ما الفتى لم يبغ إلاّ لباسَه ومطعمه فالخير منه بعيدُ

وانتهى أعرابي إلى أرض ، فقيل له انها مفعاة ، فبات على ظهر راحلته ، فتعلقت حية بنسعة ، كانت في يده ، فلسعته ، فقال وهو يجود بنفسه :

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتّقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا

وقال أعرابي لآخر رآه حريصاً : يا أخي أنت طالب ومطلوب ، يطلبك طالب ولن تفوته ، وتطلب ما كفيته ، كأنك لم تر حريصاً محروماً ، ولا زاهداً مرزوقاً .

أقوال الأعراب

في البيان والبلاغة والفصاحة

قال ابن عون : كنا جلوساً عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فجعل يتكلم وعنده رجل من أهل البادية ، فقال ربيعة : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال الإيجاز في الصواب ، قال : فما تعدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم .

وتكلم ربيعة الرأي يوماً بكلام في العلم فأكثر ، فكأن العجب داخله ، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال : ما تعدون البلاغة يا أعرابي ؟ قال : قلة الكلام ، في إيجاز الصواب . قال : فما تعدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم ؛ فكأنما ألقمه حجراً .

وقال شداد الأعرابي : مثل الشعر مثل الإبل ، فيها الكرام والحساس يسد بعضها خصاص بعض .

وقيل لأعرابي ما الجمال ؟ قال : طول القامة ، وضخم الهامة ، ورحب الشدق ، وبعد الصوت .

وقيل لأعرابي ما الجمال ؟ قال : غؤور العينين ، وإشراف الحاجبين ، ورحب الشدقين .

وقال أعرابي :

لعمري لئن حجتني العبيد ببابك ما تحجب القافيه

سأرمي بها من وراء الحجاب فيعدو عليك بها داهيه
تصمّ السميع وتعمي البصير ويسأل من مثلها العـافيه

وقال إسحق الموصلي : كانت أعرابية تقدم عليّ من البادية ، فأفضل عليها ، وكانت فصيحة ، فقالت لي ذات يوم: والذي يعلم مغزى كل ناطق، لكأنك في علمك ولدت فينا ، ونشأت معنا ، ولقد أريتني نجداً بفصاحتك ، وأحللتني الربيع بسماحتك ، فلا اطرد لي قول إلاّ شكرتك ، ولا نسمت لي ريح إلاّ ذكرتك .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : كان الفهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين :

وسمع أعرابي قصيدة الشاعر أبي تمام :

* طلل الجميع لقد عفوت حميدا *

فقال : إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها ، وأشياء لا أفهمها ، فأما أن يكون قائلها أشعر الناس ، وأما أن يكون جميع الناس أشعر منه .

وقال إسحق الموصلي : أنشدت أعرابياً فهماً ، شعراً لي ، فقال : أقفرت والله يا أبا محمد ، قلت وما أقفرت ؟ قال : رعيت قفرة لم ترع قبلك . يريد أبدعت .

وقال أعرابي :

وداهية داهى بها القوم مغلقٌ شديدٍ بعوراء الكلام أزومها [1]
أضحت لهـا حتى إذا ما وعيتها رميت بأخرى يستدير أميمها [2]

(١) عوراء الكلام معيبه ؛ والأزوم العض . نقلا عن شرح المؤلف رحمه الله .
(٢) الأميم : المضروب على أم رأسه . نقلا عن شرح المؤلف رحمه الله .

ترى القوم منهـــا مطرقين كأنما تساقوا بكأس ما يبل سليمها [١]
فـــلم ترني فهـــاً ولم ترَ حجتي ملجلجة أبغي لها من يقيمها [٢]

وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : أحسنهم لفظاً ، وأسرعهم بديهة .

وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : أقلهم لفظاً ، وأحسنهم بديهة .

ووصف أعرابي رجلاً له أدب ، وليس له عقل ، فقال : هو ذو أدب وافر وعقل نافر .

ووصف أعرابي رجلاً فقال : ما أحسن حديثه ، لو أن له سلاسل يقاد بها . « يعني الأسانيد » .

وسمع أعرابي الحسن يتكلم ، فقال : هو فصيح إذا لفظ ، نصيح إذا وعظ ، وقال :

ملقن ملهم فيما يحاوله جَمٌ خواطره جوّابُ آفاقِ

ووصف أعرابي رجلاً فقال : لسانه أدق من ورقة ، وألين من سرقة .

وقال أعرابي في رجل : كأن ألفاظه قوالب لمعانيه .

وأنشد العجاج :

* أمسى الغواني معرضات صددا *

وأعرابي حاضر ، فقال : تنح عن سننه وإلاّ تسقط منه كلمة فتشدخك .

---

(١) بل : برىء ؛ والسليم : اللديغ . نقلا عن شرح المؤلف رحمه الله .
(٢) الفه : العيي . نقلا عن شرح المؤلف رحمه الله .

وقيل لأعرابي أين فصاحتك ؟ فقال : لحقت بمواطنها بنجد .

وتكلم رجل فأحسن ثم أعاد فأساء ، فقال له أعرابي : انك تسترجع محاسنك .

ومدح أعرابي رجلاً فقال : يفتح ببيانه منغلق الحجة ، ويسد على خصمه واضح المحجة .

خطب الأعراب

قال الأصمعي : حدثني شيخ من أهل العلم ، قال شهدت الجمعة بالضرية ، وأميرها رجل من الأعراب ، فخرج وخطب ، ولفَّ ثيابه على رأسه وبيده قوس ، فقال :

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، أما بعد: فإن الدنيا دار بلاء ، والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، واخرجوا من الدنيا إلى ربكم ، قبل أن يخرج منها أبدانكم ، ففيها جئتم ، ولغيرها خلقتم ، أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ، والمدعو له الخليفة والأمير جعفر ، قوموا إلى صلاتكم .

ولّى جعفر بن سليمان أعرابياً بعض مياههم ، فخطبهم يوم الجمعة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد : فإن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حييتم ، ولغيرها خلقتم ، ان الرجل إذا هلك ، قال الناس ما ترك ، وقالت الملائكة ما قدم ، فلله آباؤكم : قدموا بعضاً يكن لكم قرضاً ولا تخلفوا كلاً ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

وخطب أعرابي فقال : الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد ؛ أما بعد : فإن التعمق في ارتجال الخطب لممكن . والكلام لا ينثني حتى ينثني عنه . والله تبارك وتعالى ، لا يدرك واصف كنه صنعه . ولا يبلغ خطيب منتهى مدحته . له الحمد كما مدح نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم . ثم نزل فصلّى .

وخطب أعرابي في قومه فقال : الحمد لله . وصلى الله على النبي المصطفى ، وعلى جميع الأنبياء . ما أقبح بمثلي أنْ ينهى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشيء ويجتنبه ، وقد قال الأول :

وَدَعْ ما لمتَ صاحبه عليه   فذم أن يلومك من يلوم

الهمنا الله وإياكم تقواه ، والعمل برضاه .

وقال الأصمعي : خطب رجل في نكاح فأكثر وطول . فقيل من يجيبه ؟ قال أعرابي : أنا والتفت إلى الخاطب . فقال : اني والله ما أنا من تخاطبك وعطائك في شيء . قد قدمت بحرمة ، وذكرت حقاً ، وعظمت موجوداً . فحبلك موصول ، وفرضك مقبول ، وأنت لها كفؤ كريم . وقد انكحناك وسلمنا .

وصعد أعرابي المنبر ، فلما رأى الناس يرمقونه ، صعب عليه الكلام ، فقال : رحم الله عبداً قصر من لفظه ، ورشق الأرض بلحظه ، ووعى القول بحفظه .

أجوبة الأعراب

قال بعض الولاة لأعرابي : قل الحق وإلاّ أوجعتك ضرباً . فقال : وأنت فاعمل به ، فما توعدك الله أشد مما توعدني به .

أحب الأصمعي أن يستثبت في كلمة استخذيت ، أهي مهموزة أم غير مهموزة ، قال فقلت لأعرابي : أتقول استخذيت أم استخذأت ؟ فقال : لا أقولهما ، قلت ولمَ ؟ قال : لأن العرب لا تستخذي .

شهد أعرابي عند ملك بشيء كرهه ، فقال له كذبت ، فقال الأعرابي : الكاذب والله متزمل في ثيابك . فتبسم الملك ، وقال : هذا جزاء من عجل .

وسئل أعرابي عن مال يسوقه ، لمن هو ؟ فقال : للهِ في يدي .

ودخل أعرابي على المنصور ، فتكلم فأعجب بكلامه . فقال له سل حاجتك ، فقال : يبقيك الله ، ويزيد في سلطانك ، فقال سل حاجتك ، فليس في كل وقت تؤمر بذلك ؛ قال ولمَ يا أمير المؤمنين فوالله ما استقصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتنم مالك ، وان سؤالك لشرف ، وان عطاءك لزين ، وما بامرىء بذل وجهه إليك نقص ولا شين .

وقيل لأعرابي : إنك لحسن الكدنة ، قال : ذاك عنوان نعمة الله عندي .

وقيل لأعرابي : أيّ الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أبصر .

وسأل أعرابي ، فقيل له عليك بالصيارف ، فقال : هناك قرارة اللؤم .

وقيل لأعرابي : ما أذهب شبابك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر ولده ، وذهب جلده ، ذهب شبابه .

وقيل لأعرابي : كيف حزنك على ولدك ، قال : ما ترك هم الغداء والعشاء لي حزناً .

وقيل لأعرابي ما اللذة ؟ قال : قبلة على غفلة .

وخرج أعرابي بالليل ، فإذا هو بجارية مليحة ، فراودها ، فقالت : يا هذا ، أما لك زاجر من عقل إن لم يكن لك واعظ من دين ؟ قال : والله ما يرانا إلاّ الكواكب ، فقالت : يا هذا ، أين مكوكبها ؟ فأخجله كلامها ، فقال : إنما كنت أمزح ، فقالت :

وإيــاكَ إيــاكَ المزاح فــإنــه يجر عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد احتقانــه ويورث بعد العز صاحبه الذلا

وقيل لأعرابي : إنك لتكثر لبس العمامة ، قال ان شيئاً فيه السمع والبصر ، لجدير أن يوقى من القر .

وقيل لأعرابي ما خير العنب ؟ قال : ما اخضرّ عوده ، وطال عموده ، وعظم عنقوده .

مدّ المأمون يده لأعرابي ليقبلها ، فتناولها بكمه ، فقال : أتقذر لها ؟ فقال : لا بل أتعزز بها .

وقيل لأعرابي لم تقطع أخاك شقيقك ؟ فقال : أنا أقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إليّ منه ، فكيف لا أقطعه إذا فسد .

وقيل لأعرابي ، ما أحسن الثناء عليك ؟ فقال : بلاء الله عندي أحسن

من وصف المادحين وان أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وان أكثروا .

وكان أبو ضمضم (الأعرابي) إذا قعد للحكم ، يقوم بإزائه رجل يعلق نوادره ، فعلم بذلك أبو ضمضم ، فرماه يوماً بلوح في يده فشجّه ، فقال له بعضهم ما أصاب ؟ فقال : استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب .

وقيل لأعرابي برأ من علته : الحمد لله الذي سلمك ، فقال : أويسلم من الموت في عقبه .

وقيل لأعرابي ينسج : ألا تستحي أنْ تكون نسّاجاً ؟ فقال : إنما أستحي أنْ أكون أخرق ، لا أنفع أهلي ، وحرفة يقال فيها ، خير من مسألة الناس .

ودخل أعرابي بفرس يبيعه ، فقيل له : صفْ فرسك ، فقال: ما طلبت عليه قط إلاّ لحقت ، ولا طُلبت عليه إلاّ سبقت ، فقيل له : فلمَ تبيعه ؟ فقال :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رَبٍّ بهن ضنين

أمثال الأعراب

(إنَّكَ خَيْرٌ من تفاريق العصا)

قالوا هذا من غنية الأعرابية لابنها ، وكان عارماً ، كثير التلفت إلى الناس مع ضعف أسر ودقة عظم ، فواثب يوماً فتى ، فقطع الفتى أنفه ، فأخذت غنية دية أنفه ، فحسنت حالها بعد فقر مدقع .

ثم واثب آخر ، فقطع أُذنه ، فأخذت ديتها ، فزادت حسن حال .

ثم واثب آخر ، فقطع شفته ، فأخذت الدية ، فلما رأت ما صار عندها من الإبل والغنم والمتاع ، وذلك من جوارح ابنها ، حسن رأيها فيه ، وذكرته في أرجوزة ، فقالت :

أحلف بالمروة حقاً والصفا انك خير من تفاريق العصا

قيل لأعرابي ما تفاريق العصا؟قال : العصا تقطع ساجوراً ، والسواجير تكون للكلاب وللأسرى من الناس ، ثم تقطع عصا الساجور ، فتصير أوتاداً ، ويفرق الوتد ، فتصير كل قطعة شظاظاً ، فإن جعل لرأس الشظاظ[1] كالفلكة ، صار للبختي[2] مهاراً ، وهو العود الذي يدخل في أنف البختي ، وإذا جاءت منه تواد ، وهي الخشبة التي تشد على خلف الناقة إذا صرت .

---

(١) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالق .

(٢) البختي : واحد البخت الإبل الخراسانية .

هذا إذا كانت عصا ، فإذا كانت قناة ، فكل شق منها قوس بندق ، فإن فرقت الشقة صارت سهاماً ، فإن فرقت السهام صارت حظاء[1] ، فإن فرقت الحظاء صارت مغازل ، شعب به الشعاب أقداحه المصدوعة ، وقصاعه المشقوقة ، على أنه لا يجد لها أصلح منها ، وأليق بها . يضرب فيمن نفعه أعم من نفع غيره .

(بعضُ البِقاع أيمن من بعض)

قال أعرابي لمعاوية في طريق وسأله ، فقال معاوية : مالك عندي شيء ، فتركه ساعة ثم عاوده في مكان آخر ، فقال : ألم تسألني آنفاً ؛ قال بلى ولكن بعض البقاع أيمن من بعض ، فأعجبه كلامه ووصله .

(جَلَوْا قَمّاً بِغَرَفَةٍ)

الغرفة الثمام بعينه ، لا يدبغ به ، وإنما يجذ للمكانس ، والغرف بسكون الراء ، يدبغ به ، والقم الكنس ؛ وأصل هذا ، أن رجلاً سأل أعرابياً عن قوم كانوا في محلة ، فقال له : جلوا قماً بغرفة وتحولوا عن محلتهم ، فخلا ذلك الموضع منهم ، وعفت آثارهم ، كما يقم المكان بالغرفة ، ونصب قمّاً على المصدر كأنه قال : جلوا جلاء كاملاً تاماً ، فكأن مكانهم قم منهم بمكنسة .

(أحْلم من فرخ عُقاب)

ذكر الأصمعي أنه سمع أعرابياً يقول : سنان بن أبي حارثة أحلم من فرخ عقاب ، قال فقلت ما حلمه ؟ قال : يخرج من بيضه على رأس نيق ، فلا يتحرك حتى يقر ريشه ، ولو تحرك سقط .

---

(١) حظاء : سهام .

(أحمقُ من راعي ضَأنٍ ثمانين)

لأن الضأن تنفر من كل شيء ، فيحتاج راعيها ، إلى أن يجمعها في كل وقت . هذه رواية محمد بن حبيب . وقال أبو عبيد : « أحمق من طالب ضأن ثمانين » قال واصل : المثل أن أعرابياً بشّر كسرى بشرى سُرّ بها. فقال له : سلني ما شئت ، فقال : أسألك ضأناً ثمانين ، فضرب به المثل في الحمق .

(أحمقُ من الضّبُع)

تزعم الأعراب أن أبا الضباع ، وجد تودية في غدير ، فجعل يشرب الماء ويقول : حبذا طعم اللبن ، ويقال بل كان ينادي واصبوحاه ، حتى انشقّ بطنه ومات ؛ والتودية العود يشد على رأس الخلف لئلا يرضع الفصيل . ومن حمقها أيضاً ، أن يدخل الصائد عليها وجارها [1] فيقول لها خامري أم عامر حتى يشدها .

(أحسنُ من النار)

هذا من قول الأعرابية التي قالت : كنت في شبابي أحسن من النار الموقدة.

(خير الأمور أوساطها)

يضرب في التمسك بالاقتصاد ، قال أعرابي للحسن البصري : علمني ديناً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً ، ولا ساقطاً سقوطاً ، فقال : أحسنت يا أعرابي خير الأمور أوساطها .

(خلّةُ أعراب ودَيْنُ فادح)

الخلة المحبة والمحب أيضاً . والدين الفادح المثقل ، يقال : فدحه الدين ،

---

(١) الوجار : جحر الضبع وغيرها .

إذا أثقله ، وخص الأعراب ، لأنها لقيت الشدة ، فتكلفك ما لا طاقة لك به. يضربه من يلزمه ما يكره ولا بد له من تحمله .

(دَقَّكَ بالمِنْحَازِ حَبَّ القِلْقِلِ)

ذكرت الأعراب أن القلقل ، شجيرة تنهض على ساق،ولها حب كحب اللوبياء ، حلو ، طيب يؤكل والسائمة حريصة عليه .

يوضع هذا المثل في الإذلال والحمل عليه .

(رجع بخُفي حُنين)

قال أبو عبيد : أصله أن حنيناً ، كان إسكافاً من أهل الحيرة ، فساومه أعرابي بخفين ، فاختلفا حتى أغضبه ، فأراد غيظ الأعرابي ، فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين أحد خفيه وطرحه في الطريق ثم ألقى الآخر في موضع آخر ، فلما مر الأعرابي بأحدهما قال ما أشبه هذا الخف بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته ومضى فلما انتهى إلى آخر ندم على تركه الأول ، وقد كمن له حنين ؛ فلما مضى الأعرابي في طلب الأول ، عمد حنين إلى راحلته وما عليها ، فذهب بها ، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان ؛ فقال له قومه : ما جئت به من سفرك ؟ فقال : جئتكم بخفي حنين ، فذهبت مثلاً .

يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة .

(رُبَّ قَوْلٍ يُبقي وَسْماً)

قالوا أول من قال ذلك أعرابي ، وكانَ رثَّ الحال ، فقال له رجل : يا أعرابي والله ما يسرني أنْ أبيت لك ضيفاً ؛ قال الأعرابي : فوالله لو بتَّ ضيفاً لي لأصبحت أبطن من أُملك قبل أنْ تلدك بساعةٍ ، إنا إذا أخصبنا ،

فنحن آكل للمأدوم وأعطى للمحروم ، ولربَّ قول يبقي وسماً قد رده منا فعال تحسم ذماً . فذهبت من قوله مثلاً .

(أرْسَحُ مِنْ ضِفْدِعْ)

قال حمزة : في تفسيره ، حديث من أحاديث الأعراب ، زعمت الأعراب في خرافاتها ، أنَّ الضفدع كان ذا ذنب فسلبه الضب ذنبه . قالوا : وكان سبب ذلك ، أن الضب خاصم الضفدع في الظمأ ، أيهما أصبر ، وكان الضب ممسوح الذنب ، فخرجا في الكلأ ، فصبر الضب يوماً ، فناداه الضفدع يا ضب ورداً ورداً .

فقال الضب :

أصبح قلبي صَرِدا [1] لا يشتهي أنْ يردا
إلاّ عراراً [2] عردا وصليـاناً [3] بردا
وعنماً [4] مُلْتبدا

فلما كان في اليوم الثاني ، ناداه الضفدع :

يا ضب ورداً ورداً .

فقال الضب :

أصبح قلبي صردا إلى آخر الأبيات

فلما كان في اليوم الثالث ناداه الضفدع :

(١) صرد : صرد الرجل وجد البرد ؛ وصرد قلبه ، انتهى .
(٢) عرار : نبت في صلب العود .
(٣) صليان : بقلة .
(٤) العنم : شجر له ثمرة حمراء

يا ضب ورداً ورداً .

فلم يجبه ، فلما لم يجبه بادر إلى الماء ، فتبعه الضب فأخذ ذنبه ، وقد ذكره الكميت بن ثعلبة في شعره فقال :

على أخذها عند غب الورود وعند الحكومة أذنابها

(زَوْجٌ من عُود خَيْرٌ من قُعود)

هذا المثل لبعض الأعراب . قال المبرد : حدثني علي بن عبد الله عن ابن عائشة ، قال : كان ذو الأصبع العدواني رجلاً غيوراً ، وله بنات أربع ، وكان لا يزوجهن غيرة ، فاستمع عليهن يوماً ، وقد خلون يتحدثن ، فقالت قائلة منهن ، لتقل كل واحدة منا ، ما في نفسها ، ولنصدق جميعاً ، فقالت كبراهن :

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى حديث شباب طيب النشر والذكر
لصوق بأكباد النساء كأنه خليفة حان لا يقيم على هجر

وقالت الثانية :

ألا ليتهُ يعطي الجمالَ بديهة له جفنة تشقى بها النيب[1] والجزر[2]
له حكمات الدهر من غير كبرة تشين فلا وانٍ ولا ضرع[3] غَمْرُ

فقلن لها أنتِ تريدين سيداً ؛ وقالت الثالثة :

ألا هل تراها مرةً وحليلها أشم كنصل السيف عين المهند
عليم بأدواء النساء ، ورهطه إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

---

(١) النيب : الناقة المسنة .
(٢) الجزر : من الإبل خاصة تقع على الأنثى والذكر .
(٣) الضرع : الجبان ، المتهالك .

فقلن لها أتت تريدين ابن عم لك قد عرفنه ؛ وقلن للصغرى ما تقولين ؟ قالت : لا أقول شيئاً ، فقلن لا ندعك وذاك ، إنك قد اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرك . فقالت : « زوج من عود خير من قعود » .

فخطبن وزوجن ، ثم أمهلن حولاً ، ثم زار الكبرى ، فقال لها : كيف رأيت زوجك ؟ فقالت : خير زوج يكرم أهله وينسي فضله . قال فما مالكم ؟ قالت الإبل . قال وما هي ؟ قالت : نأكل لحمانها فِرَعاً ، ونشرب ألبانها جرعاً ، وتحملنا وضعفتنا معاً . فقال : زوج كريم ومال عميم .

ثم زار الثانية ، فقال : كيف رأيت زوجكِ ؟ قالت: يكرم الحليلة ، ويقرب الوسيلة ، فقال فما مالكم ؟ قالت: البقر ، قال : وما هي ؟ قالت: تألف الفناء وتملأ الإناء ، وتودك السقاء ، ونساء مع نساء ؛ قال : رضيت فحظيت .

ثم زار الثالثة ، فقال: كيف رأيت زوجك ؟ فقالت : لا سمح بذر ، ولا بخيل حكر [1] ، قال : فما مالكم ؟ قالت : المعزى ، قال : وما هي ؟ قالت : لو كنا نولدها فطماً ، ونسلخها أدماً ، لم نبغ بها نعماً . قال : جذ [2] ومغنية .

ثم زار الرابعة ، فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت: شر زوج ، يكرم نفسه ، ويهين عرسه ، قال : فما مالكم ؟ قالت : شر مال الضأن ، قال : وما هي ؟ قالت : جوف لا يشبعن ، وهيم لا ينقعن ، وصم لا يسمعن ، وأمر مغويتهن يتبعن . فقال : أشبه امرؤ بعض بزّه .

---

(١) حكر : شديد حبس السلعة .

(٢) جذ ومغنية : جاء في شرح الخليل رحمه الله ما يلي : جذ جمع جذوة وهي القطعة .

قال علي بن عبد الله ، قلت : لابن عائشة ، ما قولها وأمر مغويتهن يتبعن ؟ قال : أما تراهن يمررن ، فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل ، أو غير ذلك فيتبعنها عليه .

(سكتَ ألْفاً ونطق خلْفاً)

الخلف الردىء من القول وغيره ، قال ابن السكيت : حدثني ابن الأعرابي قال : كان أعرابي مع قوم ، فحبق حبقة ، فتشور ، فأشار إلى إسته ، وقال : إنها خلف نطقت خلفاً ، ونصب ألفاً على المصدر ، أي سكت ألف سكتة ، ثم تكلم بخطأ .

(أشمّ من نعامة ومن ذئب ومن ذرّة)

قالوا : إن الرأل[1] يشم ريح أبيه وأمه وريح الضبع والإنسان من مكان بعيد ، وزعم أبو عمرو الشيباني أنه سأل الأعراب عن الظليم[2] هل يسمع ؟ فقالوا : لا ، ولكن يعرف بأنفه ما لا يحتاج معه إلى سمع ، قال وإنما لقب بيهس بنعامة ، لأنه شديد الصمم .

والذئب يشمّ ويستروح من ميل وأكثر من ميل ، والذرة تشم ما ليس له ريح مما لو وضعته على أنفك ، لما وجدت له رائحة ، ولو استقصيت الشم كرجل الجرادة تنبذها من يدها في موضع ، لم ترَ فيه ذرة قط ، ثم لا تلبث أن ترى الذر إليها كالخيط الممدود .

(أشبهُ من الماء بالماء)

قالوا : إن أول من قال ذلك ، أعرابي ، وذكر رجلاً ، فقال : والله

(١) الرأل : ولد النعام .
(٢) الظليم : ذكر النعام .

لولا شواربه المحيطة بفمه ، ما دعته أمه باسمه ، ولهو أشبه بالنساء من الماء بالماء . فذهبت مثلاً .

(صَبْراً على مجامر الكرام)

قال المفضل : بلغنا أن أعرابياً قدم الحضر بإبل فباعها بمال جم ، وأقام لحوائج له . ففطن قوم من جيرته لما معه من المال ، فعرضوا عليه تزويج جارية ، وصفوها بالجمال والحسب والكمال ، طمعاً في ماله ، فرغب فيها ، فزوجوه إياها ، ثم اتخذوا طعاماً وجمعوا الحي ، وأُجلس الأعرابي في صدر المجلس ، فلما فرغوا من الطعام ، ودارت الكؤوس ، وشرب الأعرابي وطابت نفسه ، أتوه بكسوة فاخرة ، وطيب ، فألبس الخلع ووضعت تحته مجمرة فيها بخور لا عهد له بذلك ، وكان لا يلبس السراويل ، فلما جلس عليها سقطت مذاكيره في المجمرة ، فاستحيا أنْ يكشف ثوبه . وظن أن تلك سنة لا بدّ منها ، فصبر على النار وهو يقول : « صبراً على مجامر الكرام » فذهبت مثلاً ، واحترقت مذاكيره ، وتفرق القوم ، وارتحل الأعرابي إلى البادية ، وترك امرأته وماله . فلما قصّ على قومه ما رأى ، قالوا : « إست لم تعود المجمر » فذهب قولهم مثلاً . يُضرب لمن لم يكن له عهد قديم .

(أظلمُ مِنْ ذئب)

قد كثر أمثال العرب وأشعار الشعراء بظلم الذئب ، فقالوا في أمثالهم : « من استرعى الذئب ظلم » و « مستودع الذئب أظلم » و « كافأه مكافأة الذئب » .

وأما ما جاء في أشعارهم ، فحكى ابن الأعرابي ، أن أعرابياً ربّى بالبادية ذئباً ، فلما شبّ افترس سخلة له ، فقال الأعرابي :

فرستَ شُويهتي وفجعت طفلاً ونسواناً وأنت لهم ربيبُ

نشأتُ مع السخال وأنت طفل فما أدراك أنَّ أباكِ ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فليس بمصلح طبعاً أديب

وقال آخر :

وأنت كجرو الذئب ليس بآلف أبى الذئب إلاّ أنْ يخون ويظلما

وقال آخر :

وأنت كذئب السوء إذْ قال مرةً لعمروسة[1] والذئب غرثان[2] مرملُ[3]
أأنت التي من غير جرم سببتني ؟ فقالت متّى ذا ؟ قال ذا عام أول
فقالت ولدت العام، بل رمتَ ظلمنا فدونك كلني لا هنا لكَ مأكل

قال حمزة : وهذه الأبيات منقولة من حديث طويل من أحاديث الأعراب.

(أعْمَرُ مِنْ قُراد)

قال حمزة : العرب تدعي أنَّ القراد يعيش سبعماية سنة ، قال وهذا من أكاذيب الأعراب ، والضجر منهم به ، دعاهم إلى هذا القول فيه .

(أعجز مِنْ هِلْباجة)

هو النؤوم الكسلان العطل الجافي . قال حمزة : وقد سار في وصف الهلباجة فصل لبعض الأعراب المتفصحين وفصل لبعض الحضريين ، فأما وصف الأعرابي فإن الأصمعي ، قال : أخبرني خلف الأحمر ، انه سأل ابن أبي كبشة القبعثري عن الهلباجة فتردد في صدره من خبث الهلباجة ما لم

---

(١) عمروسة : الخروف الصغير .
(٢) غرثان : جائع .
(٣) مرمل : ملطخ بالرمل .

يستطع معه إخراج وصفه في كلمة واحدة ثم قال : الهلباجة الضعيف العاجز الأخرق الأحمق الجلف الكسلان الساقط ، لا معنى فيه ، ولا غناء عنده ، ولا كفاية معه . ولا عمل لديه .

وأما وصف الحضري ، فإن بعض بلغاء الأمصار ، سئل عن الهلباجة فقال : هو الذي لا يرعوي لعذل العاذل ، ولا يصغي لوعظ الواعظ ، ينظر بعين حسود ، ويعرض اعراض حقود ، إن سأل ألحف ، وان سئل سوّف ، وان حدث حلف ، وان وعد أخلف ، وان زجر عنف ، وان قدر عسف ، وان احتمل أسف ، وان استغنى بطر ، وان افتقر قنط ، وان فرح أشر ، وان حزن يئس ، وان ضحك زأر ، وإن بكى جأر ، وان حكم جار ، وان قدّمته تأخر ، وان أخرته تقدم ، وان أعطاك مَنّ عليك ، وان أعطيته لم يشكرك ، وان أسررت إليه خانك ، وان انبسطت إليه شانك ، وان أكرمته أهانك ، وان غاب عنه الصديق سلاه ، وان حضره قلاه وان فاتحه لم يجبه ، وان أمسك عنه لم يبدأه، وان بدأ بالود هجر ، وان بدأ بالبر جفا ، وان تكلم فضحه العي ، وان عمل قصر به الجهل ، وان اؤتمن غدر ، وان أجار أخفر ، وان عاهد نكث ، وان حلف حنث ، لا يصدر عنه الآمل إلاّ بخيبة ، ولا يضطر إليه إلاّ بمحنة .

قال خلف الأحمر : سألت أعرابياً عن الهلباجة ، فقال : هو الأحمق الضخم الفدم الأكول الذي والذي ، ثم جعل يلقاني بعد ذلك ، ويزيد في التفسير كل مرة شيئاً ، ثم قال لي بعد حين ، وأراد الخروج : هذا الذي جمع كل شر .

(أضلّ مِن سِنان)

هو سنان بن أبي حارثة المري ، وكان قومه عنّفوه على الجود ، فقال : لا أراني يؤخذ على يدي ، فركب ناقة له ، يقال لها الجهول ورمى بها الفلاة ،

فلم يرَ بعد ذلك ، فسمته العرب ضالة غطفان ، وقالوا في ضرب المثل به : لا أفعل ذلك حتى يرجع ضالة غطفان ، كما قالوا لا أفعل ذلك حتى يرجع قارظ عنزة ، وقال زهير في ذلك :

إنَّ الرزية لا رزية مثلها ما تبتغي غطفان يومَ أضلّتِ
إن الركاب لتبتغي ذا مرة بجنوب خبت إذا الشهور أهلت

وتزعم أعراب بني مرة ان سناناً لما هام استفحلته الجن تطلب كرم نجله .

(أعقد من ذَنَبِ الضَّب)

قالوا : إنَّ عِقَدَه كثيرة ، وزعموا أن بعض الحاضرة ، كسا أعرابياً ثوباً ، فقال له : لأكافئنك على فعلك بما أعلمك : كم في ذنب الضب من عقدة ؟ قال لا أدري ، قال : فيه إحدى وعشرون عقدة .

(باتَ هذا الأعرابي مَقْروراً)

يضرب لمن يهزأ بمن هو دونه في الحاجة ، كمن بات دفئاً ، وغيره مقرور . يقال أقره الله فهو مقرور على غير قياس . وقريب من هذا المثل قولهم : هان على الأملس ما لاقى الدبر .

(أغرّ مِن الدُّبّاء في الماء)

من الغرور والدباء القرع ، ويقال في المثل أيضاً : لا يغرنك الدباء ولو كان في الماء . قال حمزة : ولست أعرف معنى هذين المثلين . قال الميداني : معنى المثل الأول منتزع من الثاني ، وذلك أن أعرابياً ، تناول قرعاً مطبوخاً ، وكان حاراً فأحرق فمه فقال : لا يغرنك الدباء وان كان نشؤه في الماء .

يضرب للرجل الساكن ظاهراً ، الكثير الغائلة باطناً ، فأخذ منه هذا المثل الآخر ، فقيل : « أغر من الدباء في الماء » .

(كان ذلك زَمَنَ الفِطْحَل)

قالوا : هو زمن لم يخلق الناس ، قال الجرمي ، سألت أبا عبيدة عنه ، فقال : الأعراب تقول : ذلك زمن كانت الحجارة فيه رطبة وأنشد للعجاج :

وقد أتانا زمن الفطحل   والصخر مبتل كطين الوحل

وروى غيره لرؤبة :

لو أنني أُتيت علم الحكْل[1]   علم سليمان كلام النمل
أو انني عمرت عمر الحسل[2]   أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل   كنت رهين هرم أو قتل

يضرب في شيء قدم عهده .

(ليسَ المُزَكْزِكُ بأنيئِهِنَّ)

أصله ان بعض الأعراب ، أصاب فراخ المكاء[3] ، فدفنها في رماد بسخن ، وجعل يخرجهن ويأكلهن ، فنهض واحد منها حياً ، فعدا خلفه ، فأخذه وجعل يأكل . فقال له صاحبه : انه نيء ، فقال ليس المزكزك أنيئهن[4] . يضرب في تساوي القوم في الشر .

---

(١) الحكل : ما لا يسمع له صوت . نقلا عن شرح المؤلف رحمه الله .
(٢) قال أبو زيد : يقال لفرخ الضب حين يخرج من بيضه حسل ، والجمع حسول ، ويكنى الضب أبا الحسل . وقولهم في المثل : لا آتيك سن الحسل أي أبداً ، لأن سنها لا تسقط أبداً حتى تموت . نقلا عن المؤلف .
(٣) المكاء بالمد والتشديد طائر .
(٤) المزكزك ، من قولهم زك الدراج ، وهو مثل زاف الحمام ، وذلك إذا تبختر حول الحمامة واستدار عليها ساحباً ذناباه ، ويقال لحم نيء إذا لم ينضج . نقلا عن المؤلف .

(لا آتيك ما دام السَّعْدانُ مُسْتَلْقِياً)

قيل لأعرابي كره البادية : هل لك في البادية ؟ قال : أما ما دام السعدان مستلقياً فلا . قالوا وكذا ينبت السعدان .

(لا يُخدع الأعرابي إلاّ واحدة)

قاله أعرابي خدع مرة ، ثم سيم الخداع مرة أخرى .

(مَنْ يمدح العروسَ إلاّ أهلُها)

يضرب في اعتقاد الأكابر بعضهم ببعض ، وعجبهم بأنفسهم ، قيل لأعرابي : ما أكثر ما تمدح نفسك ، قال : فإلى من أكل مدحها ، وهل يمدح العروس إلاّ أهلها .

(أنومُ من كلب)

هذا من قول رؤبة :

لاقيت مطلاً كنعاس الكلب   وعدة هاج عليها صحبي

كالشهد بالماء الزلال العذب

قال حمزة : هذا من قول الأعراب في نعاس الكلب ، وقد خالفهم صاحب المنطق [1] فقال : أيقظ من الكلب ، وزعم أن الكلب أيقظ حيوان عيناً ، فإنه أغلب ما يكون النوم عليه يفتح من عينيه بقدر ما يكفيه للحراسة ، فذلك ساعة وساعة ، وهو في ذلك كله أيقظ من ذئب ، وأسمع من فرس ، وأحذر من عقعق [2] . قال والأعراب أرادوا بما قالوا المطل في المواعيد .

---

(١) صاحب المنطق : أريسطوطاليس واضع علم المنطق .

(٢) العقعق : طائر على قدر الحمامة والعرب تتشاءم به وتضرب به المثل في الخبث .

(أهونُ مِنْ دِحِنْدِحِ)

قال حمزة : إن العرب ذلك ، فإذا سئلوا ، قالوا : لا شيء . قال ، وقال بعض أهل اللغة في دحندح ، انه لعبة من لعب صبيان الأعراب ، يجتمع لها الصبيان ، فيقولونها ، فمن أخطأها قام على رجله وحجل على إحدى رجليه سبع مرات .

(يَحْلُبُ بُنَيَّ وأشدُّ على يَدَيْه)

يضرب لمن يفعل الفعل ، وينسبه إلى غيره ، وأصل هذا ، أن امرأة بدوية احتاجت إلى لبن ، ولم يحضرها من يحلب لها شاتها أو ناقتها ، والنساء لا يحلبن بالبادية ، لأنه عار عندهن ، إنما يحلب الرجال ، فدعت بنياً لها فأقبضته على الخلف ، وجعلت هي كفها فوق كفه ، فقالت : «يحلب بني وأشد على يديه» ، ويروى وأضب على يديه .

(يا مَنْ عارض النّعامة بالمصاحف)

أصل هذا ، أن قوماً من العرب ، لم يكونوا رأوا النعامة ، فلما رأوها ظنوها داهية ، فأخرجوا المصاحف فقالوا: بيننا وبينك كتاب الله لا تهلكينا .

(كمجير أمّ عامر)

كان من حديثه ، أن قوماً خرجوا إلى الصيد في يوم حار ، فإنهم لكذلك ، إذ عرضت لهم أم عامر وهي الضبع فطردوها وأتعبتهم حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي فاقتحمته ، فخرج إليهم الأعرابي وقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صيدنا وطريدتنا ، فقال : كلا والذي نفسي بيده ، لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي ، قال ، فرجعوا وتركوه ، وقام إلى لقحة، فحلبها ، وماء فقرب منها ، فأقبلت تلغ مرة في هذا ومرة في هذا ، حتى عاشت واستراحت ،

فبينا الأعرابي نائم في جوف بيته . إذ وثبت عليه فبقرت بطنه ، وشربت دمه وتركته . فجاء ابن عم له يطلبه ، فإذا هو بقير [1] في بيته ، فالتفت إلى موضع الضبع . فلم يرها ، فقال : صاحبتي والله . فأخذ قوسه وكنانته ، وأتبعها ، فلم يزل حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول :

ومن يصنع المعروف مع غير أهله يلاقِ الذي لاقى مجير أم عامرِ
أدام لها حين استجارت بقربه لها محض ألبان اللقاح [2] الدرائر [3]
وأسمنها حتى إذا ما تكاملت فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من بدا يصنع المعروف في غير شاكر

(ألهفُ من قَضيب)

هذا رجل من العرب ، كان تمّاراً بالبحرين ، وكان يأتي تاجراً فيشتري منه التمر ، ولم يكن يعامل غيره ، وان ذلك التاجر اجتمع عنده حشف كثير من التمر ، الذي كان يبيعه ، فدخل يوماً ومعه كيس له فيه دنانير كثيرة . فطرحه بين ذلك الحشف ، وأُنسي رفعه من هناك ، وأتاه الأعرابي كما كان يأتيه يشتري منه التمر ، فقال في نفسه : هذا أعرابي ، وليس يدري ما أعطيه ، فلأصيرنّ هذا الحشف فيما يبتاعه ، فلما ابتاع منه التمر ، عدّ عليه قوصرة [4] الحشف التي فيها الدنانير ، ومضى قضيب بما اشترى من التمر ، فباع جميع ما معه من التمر غير الحشف ، فإنه لم يقدر على بيعه ولم يأخذه منه أحد . وتذكر التمار كيسه ، وعلم أنه باع القوصرة غلطاً .

---

(١) بقير : مبقور البطن .
(٢) اللقاح : الإبل .
(٣) الدرائر : كثيرة الدر أي التهطل .
(٤) القوصرة : وعاء من قصب يوضع فيه التمر .

فأخذ سكيناً ، وتبع الأعرابي فلحقه ، وقال : إنك صديق لي ، وقد أعطيتك تمراً غير جيد ، فرده عليّ لأعوضك الجيد ، فأخرج الجلدة إليه ، فنثرها ، وأخرج منها دنانيره ، وقال للأعرابي : أتدري لم حملت هذا السكين معي ؟ قال : لا ، قال : لأشقّ بها بطني إن لم أجد الدنانير . فتنفس الأعرابي وقال : أرني السكين ، ناولنيه ، فناوله إياه ، فشق به بطن نفسه تلهفاً . فضربت به العرب المثل ، فقالوا : (الهف من قضيب) .

وهو أفعل ، من لهف يلهف لهفاً ، وليس من التلهف ، لأن أفعل لا يبنى من المنشعبة إلاّ شاذاً . وفي هذا الرجل يقول عروة بن حزام :

ألا لا تلوما ليس في اللوم راحةٌ   فقد لمت نفسي مثل لوم قضيب

(الطّمعُ الكاذِبُ يَدُقّ الرَّقَبَة)

قاله خالد بن صفوان ، حين واكله الأعرابي ، وذلك أنه كان قد بنا دكاناً مرتفعاً لا يسع غيره ، ولا يصل إليه الراجل ، فكان إذا تغدى قعد عليه وحيداً يأكل لبخله ، فجاء أعرابي على جمل ساوى الدكان ، ومدّ يده إلى طعامه ، فبينا هو يأكل ، إذ هبت ريح وحركت شناً [1] هناك ، فنفر البعير ، وألقى الأعرابي فاندقت عنقه ، فقال خالد: « الطمع الكاذب يدق الرقبة » . فذهبت مثلاً .

(حَوْلَها نُدَنْدِنُ)

قاله صلى الله عليه وسلم لأعرابي قال : إنما أسأل الله الجنة فأما دندنتك ودندنة معاذ فلا أحسنها .

قال أبو عبيدة : « الدندنة ، ان يتكلم الرجل بالكلام ، تسمع نغمته ولا تفهمه عنه لأنه يخفيه ؛ أراد صلى الله عليه وسلم ، ان ما تسمعه منا هو من أجل الجنة أيضاً » .

---

(١) الشن : القربة الصغيرة .

فصل

في تعصب الأعراب للعربية

قال الجاحظ : ذكروا أن جرهماً ، كان من نتاج الملائكة ونبات آدم ، ولذلك قال شاعرهم :

لا همَّ أن جرهماً عبادكا   الناس طرف وهُمُ تلادكا

وذكر صاحب الأغاني : انه قدم أعراب من بني سليم ، أقحمتهم[1] السنة إلى الروحاء[2] ، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الروحاء فزوجه ، وركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة ، فاستعداه على المولى ، فأرسل إليه إبراهيم ، وفرق بينه وبين زوجته ، وضربه مئتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه ، فقال محمد بن بشير في ذلك :

شهدتُ غَداةَ خصم بني سليم   وجوهاً من قضائك غير سودِ
قضيتَ بسنةٍ وحكمت عدلاً   ولم ترث الحكومةَ من بعيد
إذا غمز القنا ، وُجدتْ لعمري   قناتك حين تغمز غير عود

(١) أقحم : أجدب فحل الريف .
(٢) الروحاء : مكان في الريف .

إذا عضّ الثقاف بها اشمأزتْ   اني القصر بائنة الصعود
حمى حدباً لحومَ بنات قوم   وهُمْ تحتَ التراب . أبو الوليد
وفي المِئتين للمولى نكـال   وفي سلب الحواجب والخدود
إذا كافأتهم ببنـات كسرى   فهل يجد الموالي من مزيد
فأيّ الحق أنصف للموالي   من اصهار العبيد إلى العبيد

وقال الجاحظ : رأيت عبداً أسود حبشياً لبني أسد ، قدم من شق اليمامة ، فصار ناطوراً ، وكان وحشياً مجنوناً لطول الغربة مع الإبل . وكان لا يلقى إلاّ أكرة[1] ، فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رآني سكن إليَّ وسمعته يقول : لعن الله أرضاً ليس بها عرب . قاتل الله الشاعر حيث يقول :

* حرّ الثرى مستعرب التراب *

أبا عثمان ! إن هذه العريب في جميع الناس كمقدار القرحة في جلد الفرس ، فلولا أن الله رقّ عليهم ، فجعلهم في حشاه لطمست هذه العجم آثارهم ؛ أترى الأعيار[2] إذا رأت العتاق لا ترى لها فضلاً ؛ والله ما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقتلهم إذ لا يدينون بدينه إلاّ لضنه بهم ، ولا ترك قبول الجزية منهم إلاّ تنزيهاً لهم .

ودخل أعرابي من بني العنبر ، على سوار القاضي فقال : إن أبي مات ، وتركني وأخي ، « وخطّ خطين » ، ثم قال : وهجيناً ، « وخط خطاً آخر ناحية بعيداً من الأولين » فكيف يقسم المال ؟ فقال له سوار : هل وارث غيركم ؟ قال لا . قال : فالمال بينكم أثلاثاً ؛ فقال الأعرابي : ما أحسبك فهمت عني : انه تركني وأخي وهجيناً ، فقال سوار : المال بينكم سواء .

(١) أكرة : جمع أكار كشداد وهو الحراث .
(٢) الأعيار : جمع عير وهو الحمار الوحشي .

فقال : أيأخذ الهجين كما آخذ أنا وكما يأخذ أخي ؟ قال سوار : نعم ، فغضب الأعرابي ، ثم أقبل على سوار فقال : أعلم أنك قليل الخالات بالدهناء[1] . فقال سوار : لا يضرني ذلك عند الله تعالى شيئاً .

وقال الجاحظ : قلت لعبيد الكلابي ، وكان فصيحاً فقيراً . أيسرك أن تكون هجيناً ولك ألف جريب ؟ قال : لا أحب اللؤم بشيء ، قلت فإن أمير المؤمنين ابن أمة ، قال : أخزى الله من أطاعه .

وسُمع أعرابي يقول لآخر : أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة ؟ فقال الآخر : نعم أرى ذلك بأعمالهم الصالحة ، فقال الأعرابي : توطأ رقابنا والله قبل ذلك .

وكان ناسك يقول : اللهم اغفر للعرب خاصة ، وللموالي عامة ، وأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك .

وجاء أعرابي إلى المهدي في طريق مكة فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا عاشق بنت عم لي ، وقد أبى عمي أن يزوجنيها ، فقال المهدي : لعله أكثر منك مالاً ؟ قال لا ، قال : فما القصة ؟ قال : ادن مني يا أمير المؤمنين ، فضحك المهدي وأصغى إليه برأسه ، فقال سراً : أنا هجين ، فدعا عمه وقال لمَ لا تزوج ابن أخيك ؟ فقال : انه هجين ، فقال : إن ذلك لا يضرّه ، أخوة أمير المؤمنين كلهم هجناء ، زوّجه ، فقد أصدقت عنه عشرة آلاف درهم .

---

(١) كناية عن أن سواراً ابن أمة .

فصل

في تفضيل البداوة على الحضارة

انتقل أعرابي من البداوة إلى الحضارة ، فرأى المكاء ، وهو طائر بري في الحضر ، وكان قد عهده يفرخ على شجر الآلاء والأرطي [1] في البادية فقال :

ألا أيها المكّاء مالكَ ههنا ألاءٌ ولا أرطى فأين تبيضُ
فاصعدْ إلى أرض المكاكيّ واجتنبْ قرى المصر لا تصبح وأنت مريض

وقال الجاحظ : ترى الأعراب تحن إلى البلد الجدب والمحل القفر والحجر الصلد ، وتستوخم الريف حتّى قال بعضهم :

أتجلينَ في الجالين أم تتصبري على ضيق عيش والكريم صبورُ
فبالمصر برغوثٌ وحُمّى وحصبة وموم [2] وطاعون وكل شرور
وبالبيد جوع لا يزال كأنه ركام [3] بأطراف الأكام [4] تمور [5]

وقال بعض الأعراب :

(١) الأرطي : ضرب من الشجر ينبت في البادية .
(٢) موم : الموم هو البرسام مع الحمى . نقلا عن شرح الخليل .
(٣) ركام : الركام السحاب المتراكب بعضه فوق بعض . نقلا عن شرح الخليل .
(٤) أكام : الآكام جمع أكمة وهي تل وقيل شرفة كالرابية . نقلا عن شرح الخليل .
(٥) تمور : مار الشيء تحرك بسرعة . نقلا عن شرح الخليل .

لروضةٌ من رياض الحزن أو طرف   من القرية حزن غير محروث
أحلى وأشهى لعيني ان مررت به   من كرخ بغداد ذي الرمان والتوت

وقال آخر :

إذا ما أكلنا بقلة وكسيرة   ونمنا عراةً فوق جص مرششِ
تمنّى أمير المؤمنين مكاننا   بتلك الروابي والفراش المنقّش

وقال القطامي :

ومن تكن الحضارة أعجبته   فأيَّ رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا   قناً سلباً وأفراساً حسانا
وكنَّ إذا أغرن على جناب   وأعوزهنَّ نهب حيث كانا
أغرنَ من الضباب على حلول   وضبّة أنّه من حان حانا
وأحياناً على بكر أخينا   إذا ما لم نجدْ إلاّ أخانا

وقال الأموي :

وأسرى بعيس كالأهلة فوقها   وجوهٌ من الأقمار أبهى وأنور
ويعجبني نفحُ القرار وربّما   شمخت بعرنيني وقد فاح عنبر
ويخدش غمدي بالحمى صفحة الثّرى   إذا جَرَّ من أذياله المتحضر
فما العيش إلاّ الضب يحرشه[1] الفتى   وورد بمستن اليرابيع[2] أكدر
بحيث يلف المرء أطناب بيته   على العز والكوم[3] المراسيل[4] تنحر

(١) حرش : اثار بعضها بعضاً .
(٢) اليرابيع : جمع يربع ، حيوان قاضم يشبه الفأرقصير اليدين ،طويل الرجلين طويل الذنب
(٣) الكوم : القطعة من الابل .
(٤) المراسيل : صفة للنوق السريعة .

ويغشى ثراه حين يستعتم[1] القرى ويسمو إليه الطارق المتنور

وقال أيضاً :

ونفحة من ربى ذي الأثل قابلني بها نسيمٌ يزيد القلبَ أحزانا
ولم يُطَبْ تربها من روضة أُنُف فهاج ريّاه أطراباً وأشجانا
لكنَّ ذا الأثل طاب الواديان به حيث الرباب تجرّ الذيل أحيانا
ولم يكن ليَ أكنافُ الحمى وطناً ولا الفوارسُ من نبهان جيرانا

وقال ابن الرومي :

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسّلَم

وقال المتنبي :

ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب
حُسْنُ الحضارة مجلوبٌ بتطرية وفي البداوة حسنٌ غيرُ مجلوب

وقال أبو العلاء المعري :

الموقدون بنجدٍ نارَ باديةٍ لا يحضرون وفقد العز في الحضر

قال الآلوسي في بلوغ الأرب : وقد أطنب المسعودي في اختيار العرب سكنى البوادي وسببه ، وهذا ملخص ما ذكره ؛ قال : ورأت العرب أن جولان الأرض وتخير بقاعها على الأيام أشبه بالعز ،وأليق بذي الأنفة،وقالوا نكون محكمين في الأرض نسكن حيث نشاء أصلح من غيره .

قال : وذكر آخرون أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار

---

(١) يستعتم : سار في وقت العتمة .

ونبل الهمم والاقدار ، وشدة الأنفة ، والحمية من المعرة ، والهرب من العار ، بدأت التفكر في المنازل ، والتقدير للمواطن ، فتأملوا شأن المدن والأبنية ، فوجدوا فيها معرة ونقصاً . ومنهم من قال إن الأرضين تمرض كما تمرض الأجسام ، وتلحقها الآفات ، والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح ، إذ الهواء ربما قوي فأضر بأجسام سكانه ، وأحال أمزجة قطانه ، ومنهم من قال : إن الأبنية والتحويط حصر عن التصرف في الأرض ، ومقطعة عن الجَوَلان ، وتقييد للهمم ، وحبس لما في الغرائز عن المسابقة إلى الشرف ، ولا خير في اللبث على هذه الحالة .

وقالوا : إن الأبنية والأطلال تحصر الغذاء ، وتمنع اتساع الهواء ، وتسد سروحه عن المرور ، وقزاه عن السلوك ، فسكنوا البَرَّ الأفيح ، الذي لا يخافون فيه من حصر ، ولا من منازلة ضير ، هذا مع ارتفاع الإقذاء ، وسماحة الأهواء ، واعتزال الوباء ، وتهذيب الأحلام في هذه المواطن ، ونقاء القرائح في التنقل في المساكن ، وصحة الأمزجة ، وقوة الفطنة ، وصفاء الألوان ، وصيانة الأجسام ، فإن العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء ، وطبع الهواء الفضاء . وفي هذا أمن من العاهات والأسقام ، والعلل والآلام ، فآثرت العرب سكنى البوادي والحلول في البيداء ، فهم أقوى الناس همماً ، وأشدهم أحلاماً ، وأصحهم أجساماً ، وأعزهم جاراً ، وأحماهم ذماراً ، وأفضلهم جواراً ، وأجودهم فطناً . لما أكسبهم إياه صفاء الجو ، ونقاء الفضاء ، (لأن الأبدان تحتوي أجزاؤها على تكاثف الأكدار ، وعناء الأقذار ، بما يرتفع إليه ، ويتلاطم في عرصاته وأفقه من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه ، ففي أكنافه جميع ما يتصعد إليه ، وكذلك تراكيب الأقذاء والأدواء والعاهات في أهل المدن ، وتركبت في أجسامهم ، وتضاعفت في أشعارهم وأنثارهم ، ففضلت العرب على سائر ما عداها من بوادي الأمم المعترضة ، لما ذكر من تخيرها الأماكن ، وارتياد المواطن) .

قال المسعودي : وكذلك جانبوا فصاحة الأكراد ، وسكان الجبال من الأجيال الجافية وغيرهم الذين سكنوا خروت[1] الأرض ودهاسها[2] ، وذلك لأن هذه الأمم الساكنة هذه الجبال والأودية تناسب أخلاقها مساكنها في انخفاضها وارتفاعها ، لعدم استقامة الاعتدال في أرضها ، فلذلك كانت أخلاق قطانها[3] على ما هي عليه من الغلظ .

وقد وفد على كسرى أنوشروان ؛ بعض خطباء العرب ، فسأله كسرى عن شأن العرب وسكناها ، واختيارها البدو فقال :

أيها الملك ! ملكوا الأرض ولم تملكهم ، وأمنوا من التحصين بالأسوار ، واعتمدوا على المرهفات الباترة ، والرماح السامرة ، فمن ملك قطعة من الأرض فكأنها كلها له ، يردون منها خيارها ، ويقصدون ألطافها .

قال : فأين حظوظهم من الفلك ؟ قال : من تحت الفرقدين ورأس المجرة وسعد الجدي مشرفين على الأرض بحسب ذلك .

قال : فما رياحها ؟ قال أكثرها النكباء في الليل ، والصبا عند انقلاب الشمس . قال : فما أكثر غذائهم ؟ قال : اللحم واللبن والنبيذ والتمر . قال : فما خلائقهم ؟ قال : العز والشرف والمكارم وقرى الضيف واذمار[4] الجار وإجارة الخائف وأداء الحمالات وبذل المهج في المكرمات ، وهم سراة الليل وليوث القيل ، وعمار البر ، وأُنس القفر ، ألفوا القناعة ، وسبقوا الضراعة ، لهم الأخذ بالثأر ، والأنفة من العار ، والحماية للذمار .

---

(١) خروت : الطرق .
(٢) دهاس : مكان لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا ، وقيل ما لا ينبت شجراً وتغيب فية القوائم .
(٣) قطان : جمع قطين وهو أهل الدار .
(٤) اذمار : إعانة .

قال كسرى : لقد وصفت هذا الجيل كرماً ونبلاً وما أولانا بإنجاح ذلك فيهم .

فتخيرت العرب البراري والمهامه والمصاف ، فمنهم المنجد والمتهم ممن سكن أغوار الأرض كغور بيسان ، وغور غزة من أرض الشام من بلاد فلسطين والأردن ومن سكنه من لخم وجذام . ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها ، وقطع من الأرض يعرجون عليها كالرها والسماوة والتهائم وإنجاد الأرض والبقاع والقيعان والوهاد . ولست ترى قبيلاً من العرب توغل عن الأماكن المعروفة لهم ، والمياه المشهورة بهم كماء ضارج ، وماء العقيق والسياط ، وما أشبه ذلك من المياه ، وقد استوفاها الزمخشري ، وأبو لغدة الأصفهاني وغيرهما من الأئمة في كتبهم المشهورة .

وقال الآلوسي في بلوغ الأرب : الفرق بين سكنة البوادي ، وبين سكان البلاد والقرى ، مما يظهر لكل أحد ، وذلك في الأجسام والحواس الظاهرة والباطنة والصور والأخلاق والقوة والضعف ولهجة اللسان وسماحة اليد والجرأة والشجاعة وغير ذلك مما يطول ذكره حتى أن من وازن بين بنات البادية ، وبنات البلد وجد بينهما فرقاً من وجوه مختلفة ؛ وكذلك وحشه ودوارجه وطيره وسائر ما يكون في البر ، فإنه ممتاز عما يتكون في البلد .

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته عدة فصول ، مشتملة على فروق بين الفريقين : منها أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه ؛ ومنها أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر ، لأن النفس ، إذا كانت على الفطرة الأولى ، كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها ، وينطبع فيها من خير ، أو شر ؛ ومنها أن أهل البدو أقرب للشجاعة من أهل الحضر ، وذلك لأن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة ، وانغمسوا في النعيم والترف ، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم ،

والحامية التي تولت حراستهم ، واستناموا إلى الأمور التي تحوطهم . والحرز الذي يحول دونهم ، فلا تهيجهم هيعة (١) ولا ينفر لهم صيد . فهم غارون آمنون ، قد ألقوا السلاح ، وتوالت على ذلك فهم الأجيال . وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبي مثواهم ، حتى صار ذلك خلقاً يتنزل منزل الطبيعة .

وأهل البدو ، لتفردهم عن المجتمع ، وتوحشهم في الضواحي ، وبعدهم عن الحامية ، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب ، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم ، لا يكلونها إلى سواهم ، ولا يثقون فيها بغيرهم ، فهم دائماً يحملون السلاح . ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع إلا غراراً ، في المجالس وعلى الرحال ، وفوق الأقتاب ، ويتوجسون للنبات والهيعات ، ويتفردون في القفر والبيداء ، مدلين ببأسهم ، واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقاً ، والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع ، أو استنفرهم صارخ ؛ وأهل الحضر متى خالطوهم في البادية ، أو صاحبوهم في السفر . فهم عيال عليهم . لا يملكون عليهم شيئاً من أمر أنفسهم . وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل .

ومنها أن معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة للبأس فيهم ، ذاهبة بالمنعة منهم . وان الحضر لا يمكنه سكنى البدو ، بل لا يمكن أن يسكنه إلا القبائل وان الصريح من النسب إنما يوجد لأهل البادية من العرب . لا أهل الحضر منهم ، وان أهل البادية أقدر على التغلب ممن سواهم .

(١) هيعة : الصوت تفزع منه وتخافه من عدو .

أقوال الأعراب

في الحنين إلى الأوطان

أنشد المبرد لبعض الأعراب :

حَنّتْ قلوصي آخر الليل حنّـــة فيا روعةً ما راع قلبي حنينُها
سَعَت في عقاليها[1] ولاح لعينها سنا بارق وَهْناً فجن جنونُهـــا
تحنّ إلى أهل الحجاز صبابـــة وقد بُتَّ من أهل الحجاز قرينها
فيا رب أطلقْ قيدها وجريرها[2] فقد راع أهلَ المسجدين حنينهـــا

وأنشد ابن الأعرابي لبعضهم :

أيا والييْ سجن اليمامة أشرفـــا بي القصر انظر نظرة هل أرى نجدا
فقـــال اليمانيـــان لما تبينــــا سوابق دمع مـــا ملكت لها ردّا
أمِنْ أجل أعرابيـــة ذات بردة تُبَكّي على نجد وتبلى كذا وجدا
لعمري لأعرابيـــةٌ في عبـــاءة تحــلّ دماثاً من سويقة أوْ فردا
أحب إلى القلب الذي لجَّ في الهوى من اللابسات الريط يظهرنه عمدا

وقالت ميسون بنت بحدل زوج معاوية بن أبي سفيان وقد نقلها من البدو إلى الشام :

---

(١) عقال : حبل يعقل به البعير في وسط ذراعه .
(٢) الجرير : حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة .

لَبَيْتٌ تخفق الأرواح فيه | أحبّ إليّ من قصرٍ منيفِ
وبكر يتبع الأظعان شعباً[1] | أحب إليّ من بغل زفوف[2]
وكلب ينبح الطرّاق عني | أحب إليّ من قط ألوف
ولبس عباءة وتقرّ عيني | أحب إليّ من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي | أحب إليّ من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج | أحب إليّ من نقر الدفوف
وخرق من بني عمي نحيف | أحب إليّ من علج عنيف
خشونة عيشتي في البدو أشهى | إلى نفسي من العيش الطريف
فما أبغي سوى وطني بديلاً | فحسبي ذاك من وطنٍ شريف

قعدت حسانة الضَبيّة على بركة في روضة بين الرياحين والأزهار في الطف . فقيل لها : كيف حالك هنا ؟ أليس هذا أطيب مما كنت فيه بالبادية ؟ فأطرقت ساعة ثم تنفست وقالت :

أقول لأدنى صاحبيّ أسره | وللعين دمع يحدر الكحلَ ساكبُهْ
لعمري لنهرٌ باللوى نازح القذى | بعيد النواحي غير طرق مشاربه
أحب إلينا من صهاريج مُلِّئَتْ | للعب ولم تَملحْ لديَّ ملاعبه
فيا حبذا نجد وطيب ترابه | إذا هضبته بالعشيّ هواضبه[3]
وريح صبا نجد إذا ما تنسمت | ضحى أو سرت جنح الظلام جنائبة[4]
وأقسم لا أنساه ما دمت حيّة | وما دام ليل من نهار يعاقبه

---

(١) الشعب : ولد الناقة ، وقيل ساعة يولد .

(٢) زفوف : زف زفاً وزفوفاً أسرع ، وقيل الزفيف كالزميل .

(٣) هضبت السماء القوم ، مطرتهم مطراً شديداً ، نقلاً عن شرح الخليل .

(٤) الجنائب : جمع جنوب وهي ريح تقابل الشمال ، نقلا عن شرح الخليل .

ولا زال هـذا القطر يسفر لوعة   بذكراه حتّى يترك الماء شاربه[1]

وقال أعرابي :

فماوجد ملواح[2] من الهيم حُلّئت[3]   عن الماء حتّى جوفها يتصلصل[4]
تحوم وتغشاها العصي وحولها   أقاطيع أنعام تعل وتنهل
بأكثر مني غلة وتقطعاً   إلى الورد إلاّ أنني أتجمل

وقال بعض الأعراب :

لروضة من رياض الحزن أو طرف   من القرية حزن غير محروث
أحلى وأشهى لعيني إن مررت به   من كرخ بغداد ذي الرمان والتوت[5]

وقال بعضهم :

ألا ليت شعري هل أرى جانب الحمى   وقد أنبتت سلانه[6] نَفَلا[7] جعدا
وهل أردن الدهر ماء وقيعة   كأن الصبا شدت على متنه بردا

وقال الجاحظ : حدثني التوزي عن رجل من عُرنية ؛ قال حدثني رجل من بني هاشم ، قال : قلت لأعرابي من بني أسد ، من أين أقبلت ؟ قال :

---

(١) ذكر الخليل رحمه الله : ان الراغب في محاضراته أورد البيت كما يلي :
ولا زال هذا القلب مسقي لوعة   بذكراه حتّى يترك الماء شاربه
(٢) ملواح : شديد العطش .
(٣) حلئت : منعت عن شرب الماء .
(٤) يتصلصل : يصوت .
(٥) التوت : لغة في التوت وهو ثمر يؤكل .
(٦) سلانه : مكان .
(٧) نفل : نبت نوره أصفر طيب الرائحة .

من هذه البادية . قلت : وأين تسكن منها ؟ قال : مساقط الحمى . حمى ضَرِيّة (١) بأرض لعمر الله ما نريد بها بدلاً ، ولا نبغي عنها حولاً ، قد نفحتها الغدوات ، وحفّتها الفلوات ، فلا يملولح ماؤها ، ولا يحمى ترابها ، ولا يمعر (٢) جنابها ، ليس فيها أذى ولا قذى ، ولا أنين ولا حُمّى ، فنحن بأرفه عيش ، وأرفغ نعمة .

قلت : فما طعامكم فيها ؟ قال : بخٍ بخٍ ، عيشنا والله عيش يُعلّل جاذبه . وطعامنا أطيب طعام وأهنأه : الهبيد (٣) والضباب (٤) واليرابيع (٥) والقنافذ والحيّات ، وربما أكلنا القد (٦) واستوينا الجلد ، فلا يعلم أحداً أخصب منا عيشاً ؛ فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من الدعة ، أوَما سمعت قول قائلنا ، وكان والله عالماً بلذيذ العيش :

إذا ما أصبنا كل يوم مُذَيْقَةً (٧) وخمس تميرات صغار كوانز (٨)
فنحن ملوك الأرض خصباً ونعمة ونحن أسود الغاب عند الهزاهز (٩)
وكم متمنٍّ عيشنا لا ينالـه ولو ناله أضحى به حق فائز

قال الجاحظ : ولهذا خبر طويل ، وصف فيه نوقاً أضلها . واقتصرنا منه

---

(١) ضرية ، بئر بأرض نجد وقد ألم في معجم البلدان بهذه القصة فلتراجع ؛ نقلاً عن الخليل .
(٢) معرت الأرض معراً قل نباتها ،والجناب ما قرب من محلة القوم ؛ نقلا عن شرح الخليل .
(٣) الهبيد : الحنظل أو حبه ، هبده كسره وطبخه ، نقلا عن شرح الخليل .
(٤) الضباب : جمع ضب وهو حيوان معروف ، نقلا عن شرح الخليل .
(٥) اليرابيع : جمع يربوع وهو حيوان يسكن بطن الأرض ويتخذ فيها كوى فإذا طلب من أحدها خرج من غيره ، نقلا عن شرح الخليل .
(٦) القد بوزن فلس : جلد السخلة وكانوا يأكلونه ، نقلا عن شرح الخليل .
(٧) المذيقة : تصغير مذقة وهو اللبن الممزوج بالماء ، نقلا عن شرح الخليل .
(٨) الكوانز : المكتنزة وهي المجتمعة الصلبة ، نقلا عن شرح الخليل .
(٩) الهزاهز : الشدائد ، ولم يسمع لها بواحد ، نقلا عن شرح الخليل رحمه الله .

على ما وصف من قناعته بوطنه ؛ قال الهاشمي : فلما فرغ من نعت نوقه ، قلت له هل لك في الغذاء ؟ قال : إني والله غاو أعناب [١] ، لاصق القلب بالحجاب ، مالي عهد بمضاغ إلاّ شلو[٢] يربوع وجد معمعة فانسلت مني فأخذت بنا فقائه[٣] وقاصعائه [٤] ودمّائه[٥] وراهطائه [٦] ثم تنفضته فأخرجته، فلا والله ما فرحت بشيء فرحي به ، فتلقاني رويع ببطن الحرجاء [٧] ، يوقد نويرة تخبو طوراً ، وتشبّ أخرى ، فدسسته في إرته [٨] ، فخمدت نويرته ، ولا والله ما بلغ نضجه حتّى اختلس الرويعي منه ، فغلبني على رأسه وحوشه وصدره وبدنه ، وبقي بيدي رجلاه ووركاه وفقرتا صلبه ، فكان ذلك ، مما أنعم الله به عليّ ، فاغتبقتها على نكظ منكظ ، وبوض بايظ عن عراكه إياي [٩] ، غير أن الله أعانني عليه ، فذلك والله عهدي بالطعام ، وإني لذو حاجة إلى غذاء ، أنوّه به فؤادي وأشد به آدي [١٠] ، فقد والله بلغ مني المجهود وأدرك مني المجلود [١١] .

يصف هذا البؤس والجهد ويتحمل هذه الفاقة ويصبر على الفقر ، قناعة بوطنه ، وحباً لعطنه ، واعتداداً بما وصف من رفاغة عيشه [١٢].

وقال الجاحظ : حدثنا سليمان بن معبد : أن الوليد بن عبد الملك ، أراد

---

(١) ذكر الخليل في شرحه : كذا في الأصل .

(٢) الشلو : العضو من أعضاء اللحم . نقلا عن شرح الخليل رحمه الله.

(٣ و ٤ و ٥ و ٦) هي أبواب اتخذها اليربوع لحفيرته ، فمتى أحس بشيء خالف تلك الجهة إلى الباب ، عن شرح المؤلف .

(٧) الحرجاء : ماءة احتفرها جعفر بن سليمان قريباً من الشجى بين البصرة وخصر أبي موسى في طريق الحاج من البصرة ، عن شرح المؤلف .

(٨) الأرة : موضع النار .

(٩) ذكر الخليل في شرحه : انها كذا وردت في الأصل .

(١٠) الآد : الصلب والقوة ، نقلا عن شرح المؤلف .

(١١) المجلود : القوة والصبر ، نقلا عن شرح المؤلف .

(١٢) رفاغة العيش : اتساعه ، نقلا عن شرح المؤلف .

أن يرسل خيله ، فجاء أعرابي[١] بفرس له أنثى [٢] ، فسأله أن يدخلها مع خيله ، فقال الوليد لقهرمانه[٣] أسيلم بن الأحنف : كيف تراها يا أسيلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين حجازية او ضمّها مضمارك ذهبت .

قال الأعرابي : أنت والله منقوص الاسم[٤] ، أعوج اسم الأب ، فأمر الوليد بإدخال فرسه ، فلما أجريت الخيل ، سبق الأعرابي على فرسه ، فقال الوليد : أواهبها لي أنت يا أعرابي ؟ فقال : لا والله ، إنها لقديمة الصحبة ، ولها حق ، ولكن أحملك على مهر لها قد سبق عاماً أول وهو رابض ، فضحك الوليد ، وقال أعرابي مجنون ، فقال : وما يضحككم ؟ سبقت أمه عاماً أول وهو في بطنها ، فاستظرفه واحتبسه عنده ، فمرض ، فبعث إليه الوليد بالأطباء ، فأنشأ يقول :

جاء الأطباء من حمص تخالهمُ ... من جهلهم أنْ أداوى كالمجانين
قال الأطباء ما يشفيك قلت لهم ... دخان رمث[٥] من التسرير يشفيني
إني أحن إلى إدخان محتطب ... من الجُنينة جزلٍ غير موزون[٦]

فأمر الوليد أنْ يحمل إليه سليخة[٧] من رمث فوافوه وقد مات .

---

(١) في بلوغ الأرب للألوسي : قال أبو محمد الأعرابي سألت أبا الندي عن اسم هذا الأعرابي ونسبه فقال هو الأصم حكيم بن جناب النميري ، نقلا عن شرح المؤلف .

(٢) في بلوغ الأرب : ان اسم هذه الفرس حزمة وهي من خيول العرب وقال فيها عتاب بن الأصم :
يا حزم قد جد الرهان اليوم ... ليس عليك في جري لوم

(٣) القهرمان : أمين الدخل والخرج وهو معرب ، عن شرح المؤلف .

(٤) يريد ان اسمه مصغر وغالباً يدل على النقص ، عن شرح المؤلف .

(٥) الرمث : مرعى للإبل من الحمض ، نقلا عن المؤلف .

(٦) ورد في شرح الخليل : أن كذا في الأصل والقصة في معجم البلدان فليرجع إليه في التسرير والجنينة ، ورواه الألوسي في بلوغ الأرب هكذا :
مما يجر إلى عمران حاطبه ... من الجنينة جزلا غير ممنون

(٧) السليخة من الرمث ما ليس مرعى ، نقلا عن شرح المؤلف .

قال الجاحظ : فهو عند الخليفة ، وببلد ليس في الأقاليم أريف منه ، ولا أخصب جناباً ، فحنّ إلى سليخة رمث حباً للوطن .

واعتلّ أعرابي في أرض غربة ، فقيل له ما تشتهي ؟ فقال : حسل [١] فلاة ، وحسو [٢] قِلات [٣] .

وسئل آخر فقال : مخضاً [٤] رويّاً ، وضباً مشوياً .

وسئل آخر فقال : ضباً غنياً أعور .

وذكر أعرابي بلده فقال : رملة كنت جنين ركامها ، ورضيع غمامها ، محضتني أحشاؤها ، وأرضعتني أحساؤها [٥] .

وقيل لأعرابي : كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ ، وانتعل كل شيء ظله [٦] ؟ قال : وهل العيش إلاّ ذاك ، يمشي أحدنا ميلاً ، فيرفضّ عرقاً ثم ينصب عصاه ، ويلقي عليها كساءه ، ويجلس في فيئه يكتال الريح ، فكأنه في إيوان كسرى .

وقيل لأعرابي : ما أصبركم على البدو ؟ قال : كيف لا يصبر من وطاؤه الأرض ، وغطاؤه السماء ، وطعامه الشمس ، وشرابه الريح ، والله لقد خرجنا في إثر قوم قد تقدمونا بمراحل ، ونحن حفاة والشمس في قلة السماء حيث انتعل كل شيء ظله ، وانهم لأسوء حالاً منا ، ان مهادهم لَلْعَفَر .

---

(١) الحسل : ولد الضب حين يخرج من بيضه ، نقلا عن شرح المؤلف .
(٢) حسا زيد الماء يحسوه حسواً شربه شيئاً بعد شيء ، نقلا عن شرح المؤلف .
(٣) القلات : جمع قلت بالفتح وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ، نقلا عن شرح المؤلف .
(٤) المخض والمخيض : ما مخض من اللبن وأخذ زبده ، نقلا عن شرح المؤلف .
(٥) الاحساء : جمع حسي وهي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، نقلا عن شرح المؤلف .
(٦) يقولون جاء فلان حين انتعل كل شيء ظله أي حين دخل وقت الزوال ، نقلا عن شرح المؤلف .

وان وسادهم للحجر ، وان شعارهم[١] للهواء ، وان دثارهم للخواء[٢] .

وقالت أعرابية : إذا كنت في غير أهلك ، فلا تنس نصيبك من الذل .

وقال الجاحظ : رأيت عبداً أسود حبشياً ، لبني أسد ، قدم من شق اليمامة ، فصار ناطوراً ، وكان وحشياً ، مجنوناً لطول الغربة مع الإبل ، وكان لا يلقى إلاّ أكرة[٣] ، فلا يفهم عنهم ، ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رآني سكن إليّ ، وسمعته يقول : لعن الله أرضاً ليس بها عرب ، قاتل الله الشاعر حيث يقول :

* حر الثرى مُستعرِبُ التّراب[٤] *

أبا عثمان ! إنّ هذه العُرَيب في جميع الناس كمقدار القرحة[٥] في جلد الفرس ، فلولا أنّ الله رقّ عليهم ، فجعلهم في حشاه ، لطمست هذه العجم آثارهم ؛ أترى الأعيار[٦] إذْ رأت العتاق[٧] لا ترى لها فضلاً ، والله ما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقتلهم إذْ لا يدينون بدين إلاّ لضنّه بهم[٨] ، ولا ترك قبول الجزية منهم إلاّ تنزيهاً لهم .

---

(١) الشعار : الثوب الذي يلي الجسد لأنه يلي شعره ، عن مؤلف الشعراء الأعراب .

(٢) الدثار : الثوب الذي فوق الشعار ؛ والخواء بالمد الهواء بين الشيئين ، والخوى بالقصر خلو الجوف من الطعام ويمد ، نقلا عن المؤلف .

(٣) أكرت الأرض حرثتها ، واسم الفاعل أكار للمبالغة والجمع أكرة كأنه جمع آكر .

(٤) أرض حرة ، لا سبخة فيها ؛ وطين حر لا رمل فيه ، ورملة حرة طيبة النبات . ومستعرب التراب أي بعيد من أرض الأعاجم . نقلا عن شرح مؤلف الكتاب .

(٥) القرحة بالضم بياض يسير في وجه الفرس دون الغرة نقلا عن شرح المؤلف .

(٦) الأعيار : جمع عير بالفتح وهو الحمار ، نقلا عن شرح مؤلف الكتاب .

(٧) العتاق : كرام الخيل ، نقلا عن شرح مؤلف الكتاب .

(٨) الضن : البخل ومراد الأعرابي من كلامه ان الله كرم العرب وأراد بهم خيراً ، إذ جعلهم بمكان يأمنون به على قلتهم من الأعاجم على كثرتهم ، وإذ ألزمهم الإسلام ولم يقبل منهم الجزية مع البقاء على الكفر ؛ ذكر مؤلف الكتاب ان هذا الشرح عن الجاحظ في كتاب الحنين إلى الأوطان .

وقيل لأعرابي ما السرور ؟ فقال : أوبة بغير خيبة ، وإلفة بعد غيبة .

وقيل لآخر ما السرور ؟ قال : غيبة تفيد غنى ، وأوبة تعقب منى ، وأنشأ يقول :

وكنت فيهم كممطورٍ ببلدته يُسَرّ أنْ جمع الأوطان والمطرا

وقيل لبعض الأعراب ما الغبطة ؟ قال : الكفاية مع لزوم الأوطان ، والجلوس مع الاخوان .

قيل له فما الذلة ؟ قال : التنقل في البلدان ، والتنحي عن الأوطان .

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : كانت الأعراب إذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه وتطرحه في الماء إذا شربته ، وكذلك كانت فلاسفة اليونان تفعل ، وأنشد لبعضهم :

نسير على علم بكنه مسيرنا بعفة [1] زاد في بطون المزاود [2]
ولا بدّ في أسفارنا من قبيصة [3] من الترب نُسقاها لحب الموالد

وقال الجاحظ : الأعراب مع فاقتهم ، وشدة فقرهم ، يحنون إلى أوطانهم ويقنعون بتربهم ومحالهم .

وقال أعرابي وجعل وجد الأعرابية بوطنها مثلاً :

وما وجد أعرابية قذفت بها صروف النوى من حيث لم تك ظنتِ
إذا ذكرت ماء العضاه وطيبه وبرد الحمى من بطن خبت أرنت
بأكثر مني لوعة غير أنني أُجمجم أحشائي على ما أجنتِ

(١) العفة : هي بقية اللبن في الضرع بعد أن يحلب أكثر ما فيه ، وكذلك العفافة ، ثم استعيدت للقليل من الزاد نقلا عن شرح المؤلف .

(٢) المزاود : جمع مزود وهو ما يجعل فيه الزاد ، نقلا عن شرح المؤلف .

(٣) القبيصة : التراب المجموع ، وما تناولته بأطراف أصابعك ، نقلا عن شرح المؤلف .

وقال عبد لبني قريظ يقال له مطير :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة وصداء مني والمكان بعيدُ
بوادٍ من اللعباء أعلاه عوسج وأسفله رمث عليه جهيدُ
وهل أسمعنَّ الدهر أصوات فتية بذي الهوزرى من ناشيء ووليد

وقال مالك بن الريب (وهو شاعر بدوي) ، وكان قد خرج مع سعيد عثمان لما ولي خراسان ، فلما قفل ، مرض في الطريق :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا[1]
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه وليت الغضا ماشي الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا مزاراً ولكنَّ الغضا ليس دانيا
دعاني الهوى من أهل ودي وصحبتي بذي الطبسين فالتفت ورائيا
أجبتُ الهوى لمّا دعاني بزفرة تقنّعت منها أنْ أُلام ردائيا
ولما تراءت عند مرو منيّتي وحلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا
أقول لأصحابي ارفعوني لأنني يقرّ بعيني أنْ سهيل بدا ليا
يقولون لا تبعدْ وَهُمْ يدفنونني وأين مكان البعد إلاّ مكانيا
غداةَ غد يا لهفَ نفسي على غدٍ إذا أدلجوا عني وخُلّفْتُ ثاويا
أُقلب طرفي فوق رحلي فلا أرى به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرمل منا نسوةٌ لو شهدنني بكينَ وَفَدّيْنَ الطبيبَ المداويا
وما كان عهدُ الرمل مني وأهله ذميماً ولا بالرمل ودّعتُ قاليا

وقيل لأعرابي تمنّ فقال : خباء في أرض خلاء ، وكلب إذا أصابه المطر زاحمني فيه .

---

(١) ملاحظة : إن القصيدة أثبتها مؤلف الشعراء الأعراب في كلامه عن الشاعر مالك بن الريب ، وقد شرح معظم القصيدة فليرجع إليها .

ملح الأعراب

قال المبرد : سُمع أعرابي في سنة قحط بمكة يقول :

قد كنت تسقينا فما بدا لكا رَبَّ العباد ما لنا وما لكا

* أنزلْ علينا الغيث لا أبا لكا *

قال فسمعه سليمان بن عبد الملك فقال : أشهد أنه لا أبا له ولا أُم ولا ولد .

وقال الأصمعي : مَرَّ أعرابي ينشد ابناً له ، فقيل له : صفه لنا ، فقال : دنينير ، قال : فمضى ، فجاء بجعل على عنقه ، فقيل له : لو قلت هذا لدللناك عليه ، قال فأنشدنا :

نعم ضجيع الفتى إذا برد اللي لُ سحيراً وقفقف[1] الصرد[2]

زيّنه اللهُ في الفؤاد كما زيّن في عين والد ولد

وقال الأصمعي : بينما أنا في بعض أسفاري ، إذ رأيت أعرابياً ، في أيام البرد الشديد ، وقد أوقد ناراً ، وهو يصطلي بها ، وعليه عباءة مخرّقة ، وهو شيخ كبير ، وهو ينشد ويقول :

---

(١) قفقف : ارتعد من البرد .

(٢) الصرد : الذي يهتز من البرد .

إذا اللهُ أعطاني قميصاً وجُبّــة أُصلّي له حتى أُغيّب في القبر
وإنْ لم يكنْ إلاّ سواهــا عبــاءة مخرّقة ما لي على البرد من صبر
أيحسب ربّي أنْ أُصليَ عــارياً ويكسوَ غيري كسوة البرد والحر
فواللهِ مــا صلّيت للهِ مغربــاً ولا أُختها الأخرى ولا مطلع الفجر
ولا الظهر إلاّ يوم شمس دفيئة وإنْ غيّمتْ فالويل للظهر والعصر

قال الأصمعي : فقلت له يا أخا العرب ! إن كساك الله تصلي ؟ قال : أي وربّ الكعبة ، قال : فأعطيته فضل كساء كان معي ، فقلت له : لا يجوز لك التيمم والماء قريب منك ، فقال : أنا أعلم منك بهذا ، ثم توجه يصلي قاعداً ، فقلت له : يا هذا ولا يجوز لك أيضاً أن تصلي قاعداً ، وأنت تطيق القيام ، فقال بلى فإني لأجد الاعتذار لربي ، ثم كبّر وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وجعل يقول في صلاته :

إليكَ اعتذاري في صلاتيَ قاعداً على غير طهر مومياً نحو قبلتي
فمالي ببرد المــاء يا ربّ طاقةٌ ورجلي فلا تقوى على حمل ركبتي
ولكنني أحصي صلاتيَ جــاهداً وأقضيكها يا ربّ في وقت صيفتي
فإنْ أنا لم أفعــل فأنت محكم لصفعك رأسي بعد نتفك لحيتي

وحُكيَ أنّ محمد بن علي رضي الله عنه ، رأى في الطواف أعرابياً ، عليه ثياب رَثّة ، وهو شاخص نحو البيت ، لا يصنع شيئاً ، ثم دنا من الأستار ، فتعلق بها ، ورفع رأسه إلى السماء ، فأنشأ يقول :

أما تستحي مني وقد قمت شاخصاً أُناجيك يا ربي وأنت عليمُ
فإنْ تكسني يا ربّ ثوباً وفروةً أُصلي صلاتي دائمــاً وأصومُ
وإنْ تكن الأخرى على حال ما أرى فمن ذا على ترك الصلاة يلوم
أترقبُ أولاد العلوج وقــد خلوا وتترك شيخــاً والــداه تميم

فدعا به محمد بن علي ، فجعل عليه قميصاً وفروة وأعطاه عشرة آلاف درهم وحمله على فرس ؛ فلما كان في العام الثاني ، وافى الحج وعليه كسوة جميلة وحلة مستقيمة ، فقال له : يا أعرابي رأيتك في العام الماضي بسوء حال ، وأراك الآن ذا ثروة وجمال ! فقال : إني عاتبت كريماً فأعتبت .

وأقبل أعرابي إلى مالك بن طوق ، فأقام بالرحبة حيناً ، وكان الأعرابي من بني أسد صعلوكاً في عباءة صوف وشملة شعر ، فكلما أراد الدخول منعه الحجاب ، وشتمه العبيد ، وضربه الأشراط .

فلما كان في بعض الأيام ، خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة ، فعارضه الأعرابي ، فضربوه ومنعوه ، فلم يثنه ضرب حتى أخذ بعنان فرسه ثم قال : أيها الأمير ! إني عائذ بالله من أشراطك هؤلاء ؛ فقال مالك : دعوا الأعرابي ، هل من حاجة يا أعرابي ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير ، أنْ تصغي إليَّ بسمعك ، وتنظر إليَّ بطرفك ، وتقبل إليَّ بوجهك ، قال : نعم ؛ فأنشأ الأعرابي يقول :

ببابك دونَ الناس أنزلت حاجتي ... وأقبلتُ أسعى حوله وأطوفُ
ويمنعني الحجّابُ والستر مُسْبلٌ ... وأنتَ بعيد والشروط صفوف
يدورون حولي في الجلوس كأنهم ... ذئابٌ جياع بينهنَّ خروف
فأما وقد أبصرت وجهك مقبلاً ... فأُصرف عنهُ انني لضعيف
ومالي من الدنيا سواك وما لمن ... تركت ورائي مربعٌ ومصيف

آثار المؤلف المطبوعة

١ — شعراء الشام في القرن الثالث

٢ — سلسلة أئمة الأدب ، صدر منها :

الجاحظ ، ابن المقفع ، ابن العميد ، الصاحب بن عباد ، والفرزدق

٣ — ديوان خليل مردم بك

٤ — جمهرة المغنين

٥ — كتاب الأعرابيات

٦ — أعيان القرن الثالث عشر

٧ — الشعراء الشاميون

٨ — شعراء الأعراب

وحقق الدواوين الشعرية الآتية :

١ — ديوان ابن عنين

٢ — علي بن الجهم

٣ — ديوان ابن حيوس في جزأين

٤ — ديوان ابن الخياط

٥ — دمشق والقدس في العشرينات (تحت الطبع للمرحوم المؤلف) .

محتويات الكتاب

تُطلب جميع منشوراتنا من :

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
ص.ب ٧٤٦٠ هاتف ٢٩٥٥٠١



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com